الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماستر في النقد العربي الحديث والمعاصر

الموضوع

الرفض في شعر أمل دنقل
قراءة في قصيدة "لا تصالح"

إعداد الطالبة :
- لصفر سناء

تحت إشراف :
- بن يحي فتيحة

أعضاء لجنة المناقشة

أ.الدكتورة	حرة طيبي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.الدكتورة	بن زرقة شهيناز	جامعة تلمسان	ممتحنا
أ. الدكتورة	بن يحي فتيحة	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا

العام الجامعي 1441-1442هـ /2019- 2020 م

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون)

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب اللّيل إلاّ بشكرك، و لا يطيب النهار إلاّ بطاعتك..

و لا تطيب اللّحظات إلاّ بذكرك.... و لا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك...

و لا تطيب الجنّة إلاّ برؤيتك الله جلّ جلالك.

إلى من بلغ الرسالة و أدّى الأمانة..... و نصح الأمّة إلى نبي

الرحمة و نور العالمين.....

سيدنا محمد صلىّ الله عليه و سلّم.

إلى الذي علّمني صعود الصعاب ... إلى النور الذي ينير لي درب النجاح.....

إلى والدي الكريم

إلى التي شقّت لي طريقا ألتمس فيه نور الصباح .... إلى من علّمتني الصبر و النجاح ...

إلى أمّي الغالية

إلى من أهديتني بالجواب الصريح .... حيرة كلّ سؤال أصبح سنا برقه يضيء لي الطريق...

إلى أختي مريم

إلى القلب الطاهر الرقيق ... و النفس البريئة .... إلى ريحانة حياتي ...

إلى أختي أمينة

إلى الذين لا تطيب الحياة إلاّ بوجودهم .... و لا يأنس القلب إلاّ باجتماعهم .....

إلي أهلي و أقاربي

أهديكم ثمرة هذا الجهد.

لصفر سناء

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بفضله تتمّ الصالحات ، و الحمد لله الذي فطرني و علّمني

ووفّقني لإنجاز هذا البحث ، و ما توفيقي إلاّ من عنده سبحانه و تعالى.

قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم.

« من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذتي الفاضلة " بن يحي فتحية " على العون الذي قدّمته لي ، وعلى كلّ التوجيهات و الإرشادات التي رافقتني بها طيلة عملي في هذا البحث المتواضع ،

و أتقدّم بشكري إلى لجنة المناقشة التي وافقت على قراءة هذه المذكّرة.

و أقدّم خاص شكري إلى كلّ من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

لصفر سناء

مقدّمة

لقد ارتبط الشعر العربي المعاصر بالقصائد التي تنادي بالرفض و الثورة والمقاومة وهذا دليل علي أن الشاعر المعاصر لم يكن بمعزل عن أحداث عصره وقضايا أمته ، فبعد الحرب العالمية تعالت أصوات الحريات، و اشتدّت قوى الكفاح التحرّري. فكان الأدباء و الشعراء و بخاصّة الذين تخلّصوا من رواسب الماضي و تشبّعوا بأفكار جديدة في غمرة هذا الكفاح، قد دعوا إلى رفض الجمود و التحجر و القهر و العمل على الحرية نحو التقدّم فعلا وقولا بإبراز معاناة الإنسان العربي و تمزّقه ،ولعل هذا ما جعل الشاعر المعاصر يحرص طيلة حياته علي القيام بدوره في عمليتي التوعية و الإصلاح وذلك عن طريق الكلمة الحرة .

ولقد جسّد هذه القضايا شعراء الرفض الذين حملوا على عاتقهم تصوير هذه المآسي متحمّلين لكلّ التبعات التي قد تترتّب عن مواقفهم اتجاه هذه الحياة.

ومن أبرز هؤلاء الشعراء، نجد الشاعر أمل دنقل الذي استطاع من خلال تجربته الفنية أن يحمل هموم الأمّة و يعبّر عن تطلّعات شعبها جاعلا من شعره وسيلة لإعلاء صوته الرافض.

و من هنا تبادرت إلى ذهني عدّة فرضيات همني إيجاد توضيح لها ،كيف استطاع الشاعر أن يعبّر عن موقفه الرافض؟، و هل نجح في إيصال صوته للقرّاء؟، و ما هي خصائص الخطاب الشعري عنده؟ وهل كان للعوامل المحيطة بالشاعر دور في تحوله لشاعر رافض من دعاة الثورة والتغيير ؟

إنّ غاية هذا البحث هي استقصاء هذه الظاهرة الفنية في المتن الشعري لدى الشاعر و تتبعها انطلاقا من سياقها التاريخي و الوقوف على مظاهرها في الحقب الزمنية المختلفة إلى حدود المعاصرة فيه، إضافة إلى محاولة تقديم قراءة للرفض في خطاب أمل دنقل من أجل الكشف عن خباياه وما يريد الشاعر إيصاله من وراء ذلك.

وانطلاقا من طبيعة الموضوع توزع البحث على مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة وقائمة للمصادر و المراجع التي اعتمدت عليها، و فهرس للمحتويات و ملخص للمذكرة .

وعقدت المدخل على دراسة ماهية الرفض في اللغة و الإصلاح، ثمّ أتبعته بإيضاح الفرق بينه و بين التمرّد ثم ربطت الشعر بالرفض متتبعة مراحل القصيدة عبر مختلف العصور.

أمّا الفصل الأول فقد عنونته (عوامل قيام فعل الرفض في شعر أمل دنقل) وقد خصصته لعرض نبذة لحياة الشاعر، ثم أعقبت ذلك بالحديث عن دواعي الرفض لديه.

أمّا الفصل الثاني فقد خصصته للجانب التطبيقي لدراسة قصيدة لا تصالح كأنموذج، انطلقت فيه من قراءة تحليلية لأبيات القصيدة، ثم ذهبت إلى دراسة لغة القصيدة، و وقفت على أدوات البناء الفني فيها ثمّ ختمت هذا الفصل بدراسة الجانب الإيقاعي.

وقد أنهيت هذا البحث بخاتمة استعرضت فيها لأهمّ النتائج المتوصّل إليها.

وفرضت طبيعة هذه الدراسة حضور المنهج الوصفي التحليلي من أجل رصد هذه الظاهرة وتتبّعها و استقصاء ما كان منها، و استعنت بالمنهج الفني الذي كان قالبا يحيط بتقنيات التعبير من أجل الوقوف على جماليات القصيدة.

وككلّ بحث علمي لا يسعني سوى القول بأنّه لم يخل من صعوبات خاصة فيما يتعلّق بالجانب الفني و الجمالي في دراسة القصيدة ، ولذلك حاولت الإطّلاع على كل الدراسات التي ألمت بهذا الموضوع، ومن أهمها كتاب أمل دنقل شاعر الخطوط على النار لأحمد الدوسري وكتاب ألبير كامي و أدب التمرّد جون كروكشانك.

وفي الأخير لا يسعني سوى أن أتوجه بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة إلي كل من أستاذة حرة طيبي وأستاذة بن زرقة شهيناز اللواتي وافقن علي قراءة هذه المذكرة وإلي أستاذتي الفاضلة بن يحي فتيحة التي لم تبخل علي بكل ما أحتاجه من نصائح وإرشادات من أجل إتمام هذا البحث.

الطالبة : لصفر سناء

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة تلمسان

يوم 2019/7/30

المدخل

أولا ماهية المصطلح:

لقد كانت علاقة الشاعر بالسلطة في الغالب علاقة صراع، نابعة من قيود تشابكت و تجمّعت لتعمل على إخماد صوته،ولذا فإنّ مطلب الشاعر في الحرية ليس حاضرا في أدراج تلك البنية المسيطرة، الأمر الذي دفعه إلى إطلاق صوته الرافض و كسر كل تلك القيود و الضوابط، فما من سبيل لممارسة الحرية إلاّ بجعلها تحظّر على الورق.« لعلّها تجد مناخا أصلح من ذلك المناخ الفاسد الذي نشأت فيه، فتدب الروح فيها من جديد»[1] ، إنّه يشعل شرارة الحرية في النفوس المقموعة لتشهد هول الكارثة التي تعشش فيها لتتمرّد على ذاتها قبل أن تتمرّد على غيرها.

ولكن قبل ذلك لا بدّ لي من الكشف عن معنى الرفض قبل الولوج في الموضوع و تقديم نماذج رافضة.

-1- اللغة:

وردت في معجم التقفية « الرَّفْضُ مَصْدَرُ رَفَضْتُ الشَيْءَ أَرْفُضُهُ.رَفْضًا إِذَا تَرَكْتُهُ، و روي عن الأصمعي أنّه قال: و مِنْهُ سُمِيَتْ الرَافِضَةُ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا زَيْدًا أَيْ زَيْدُ بْنُ عَلِي بْنُ الحُسَيْنِ بْنُ عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبْ » [2].

وورد في أساس البلاغة للزمخشري « رَفَضَنِي فُلاَنٌ فَرَفَضْتُهُ، و يَرْفِضُنِي(بكسر الفاء)، ويَرْفُضُنِي (بضم الفاء)، و رَفَضَنِي إِبِلَهُ: تَرَكَهَا تَتَبَدَّدُ فِي المرْعَى، و رَجُلٌ رُفْضَةٌ يَأْخُذُ الشَيْءَ ثمَ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَدَعَهُ، وَرَاعَ قَبْضَةً رُفْضَةً: يَجْمَعُ الإِبِلَ فَإِذَا وَجَدَ كَلأً رَفَضَهَا» [3] .

و جاء ذكره في معجم العين« الرَفْضُ تَرْكُكَ الشَيْءَ، وَ الرَّفَضُ الشَيْءُ المتَحَرِكُ المتَفَرِقُ وَ يُجْمَعُ عَلَى أَرْفَاضٍ ،وأَرْفَاضُ الشَيْءِ حَيْثُ يَجْمَعُهُ الرِيحُ فِي مَوَاضِعَ وَ تُفَرّقُهُ، و تَرَفَّضَ فِي مَعْنَى اِرْفَضَّ قال:

« حتى ترفّض نظامها »[4]

1- رجب هدى العبيدي،" فاعلية شعر الرفض و التمرد أمل دنقل وعبد الرؤوف بابكر دراسة نقدية موازية في ضوء المنهج التحليل التفاعلي، دار العربية للنشر و التوزيع ط1، مصر،القاهرة،2013. ص 240 .

2- أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي " التقفية في اللغة تح خليل إبراهيم العدلي، مطبعة العالية، بغداد ط1 ، 1976، ص 494.

3-أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري" أساس البلاغة " تح عبد الرحيم محمود ،لبنان بيروت، دار المعرفة، د ط ، د ت ، ص 170.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي " 20 معجم العين" ج2 مادة رفض بيروت ، دار الكتب الأدبية، 2004 ص 130.

و جاء في القاموس المحيط " رَفَضَهُ يَرْفِضُهُ، رَفْضًا، وَ رَفَضًا تَرَكَهُ وَ جَمْعُهُ أَرْفَاضٌ
انتشر غذقه و سقط غلافه، و الوادي اتّسع و اسْتَرْفَضَ، و(رمى)، و شيء" رَفِيضُ مَرْفُوضٌ، و الرَفِيضُ العرق المتكسّر من الرماح » [1].

و ورد في معجم الوسيط « الرَّفْضُ المتفرق من كلّ شيء، وارْفَضَّ: تَرَفَضَ يقال اِرْفَضَّ الدمع وارْفَضَّ العرق ». [2]

ولعلّ أوفى تعريف لغوي ما جاء في لسان العرب « الرَّفْضُ: تركك الشيء يقول رَفَضَنِي فَرَفَضْتُهُ ،و رَفَضْتُ الشَيْءَ أَرْفُضُهُ وَ أَرْفِضُهُ، رَفْضًا و رَفَضًا، فهو مَرْفُوضٌ و رَفِيضٌ: كَسَّرْتُ.
الرَّفْضُ: الشيء المتفرق و الجمع أَرْفَاضٌ، و الرَّفْضُ أن يطرد الرجل غنمه و إبله إلى حيث يهوى، فإذا بلغت لها عندها تركته [3] .

ومن خلال التأمل في هذه المعاني الواردة معاجمنا و قواميسنا نخلص إلى الاستنتاجات التالية:

1- أنّ الرفض قد توزّع على عدّة معاني منها ما أخذ معنى الترك والتفرق و التكسّر والتحطم ، و على الرغم من هذه الدلالات المختلفة إلاّ أنّها تشكل طريقا واحدا تتجمع في دلالة الرفض.

2- الرفض يكون بدافع معيّن يهدف الرافض من خلاله إلي الوصول إلى غاية معيّنة

3- الرفض يحمل في معناه العنف و الغضب و التحدّي أيضا.

4- الرافض يبحث عن البديل لكونه ملتزم بنهج آخر يتبنّاه و يدعوا إليه.

ب- اصطلاحا:

لقد اختلفت الرؤى حول معنى الرفض اصطلاحا، فقد عرفه الفلاسفة على أنّه « اصطلاح مدرسي يطلقه المحدّثون على مقاومة الإرادة لدافع معيّن، أو على رفضها التصديق بالأمر، أو تأيده، و الانقياد له،والرفض بهذا المعنى يوجب اتصاف صاحبه بقوّة الإرادة لا بضعفها أو فقدانها ،و قوله "لا" عند رفض الشيء أدلّ على قوة أرادته من قول نعم شريطة ألاّ يكون رفضه ناشئا عن دوافع غريزية عمياء»[4]

1- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي " القاموس المحيط . ج 2 .فصل الراء باب الضاد ، دار جيل للنشر و التوزيع د ط ن دت ، ص 344.

2- إبراهيم مصطفى، محمد الزيات، محمد النجار، معجم الوسيط .الجزء الأول باب إرتفض ، مجمع اللغة العربية، دط ، دت ص 360

3- ابن منطور "لسان العرب" باب الراء مادة رفض. ج1 ، ط ، دار النشر و التوزيع ، ص190-191

4- جميل صليبا " معجم الفلسفي " ج1 دار الكتب اللبنانية بيروت ط1 ، 1971 ص 618.

وبناء على ذلك نستطيع القول أن الرفض ما هو إلاّ ثورة دينية أو فكرية أو فلسفية تنشد البديل، وأن الرافض يحسن قول"لا" متى رأى الموقف يتطلّب ذاك انطلاقا من قناعاته الدينية أو الفكرية أو الفلسفية بعيدا كل البعد عن الاعتباطية و العشوائية، كما يجب « على الإنسان أن يكون أخلاقيا في رفضه و لغاية أسمى من أيّة دوافع غريزية، لأنّ مثل هذه الدوافع ذات نتائج آنية و سطحية، في حين أن الرفض الواعي يكون ذا دلالات إيجابية.

و لأنّ السمات الأخلاقية تتطلب النظام. « لذا يتوجب عليها أن ترفض الاستسلام للرغبات دون قيد أو شرط، و لكي توفق بين الرغبات و تحقق الشراكة بينهما يجب عليها أن تضبط أي رغبة منفردة لنفسها أو أي جزء واحد هي مجموعة من الرغبات » [1] .

وأكثر من ذلك " إنّ فلسفة الرفض ليست إرادة سالبة، فهي لا تنطلق من تناقض يعارض (النفي) بدون أدلة، و تثير جدالات فارغة و غامضة، و هي لا تتهرب منهجيا من كل قاعدة. إنّها خلافا لذلك كلّه وفيّة للقواعد داخل منظومة قواعد " [2].

ومن هذا المنطلق لا بدّ لنا أن تفرق بين الإرادة السالبة و السلب، فالأولى تعني الانهزامية و الهروب من مواجهة العالم، في حيث أنّ السلب يمثّل أداة الرّفض يقول hidger "كل سلب يتمّ التعبير عنه بأن ننطق لفظة (لا). فيما يتعلّق بموضوع لا وجود له، غير أن هذه (لا) يضيفها السلب من تلقاء نفسه ليقحمها بطريقة ما على أنّها وسيلة التمايز و التضاد بالنسبة للمعطي ، و على هذا كيف يدخل السلب من تلقاء نفسه هذه (لا) إذا لم تستطيع أن تنفي إلاّ إذا أعطي له مبدئيا شيء قابل للنفي "[3] .

وبناء على هذا القول، فإنّ الرفض يشير إلى استخدام السلب (لا) وليس إرادة السالبة، فهو يقول(لا)، و لكن في المقابل ينتظر كثيرا قبل ان يقول نعم، و لأي شيء يقول هذه (النَعَمْ) .

أمّا الماديون فقد نظروا إلى الرفض من موقف موضوعي "والذي يؤدي إليه الوعي بالضياع في واقع يكبل في الفرد أخلاقيا و ماديا " [4] ،و من هنا يبرز دور الوعي (العقل) في عملية الرفض لما يدور حول الإنسان و محاولة تغيير واقعه.

1-والف بارتون " إنسانية إنسان" تر سلمى خضراء الجبوسي ، دار الثقافة ، ط1 ، 1986 ، ص 28.

2-غاستور باشلار " فلسفة الرفض " تر خليل إبراهيم أحمد ، دار الحداثة ، لبنان بيروت ، ط 1 ، 1984 ، ص 25.

3-مارتن هيدجر " ما الفلسفة ؟" ما الميتافيزقا هيلدرلن،؟ و ماهية الشعر، تر فؤاد كامل و محمود رجب راجعها على أصل الألماني و قدمها عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ط2 ، 1974 ، ص 168

4- ينظر :كارل ماكس ،"مقدمة في الإقتصاد السياسي" ، نقلا من "الرفض ومعانيه في شعر المتنبي"،يوسف حناشي،الدار العربية للكتاب،تونس،1984،ص50

أمّا في علم النفس، فيعرف على أنّه « حالة شعورية واعية تقود الإنسان إلى مجابهة الواقع، و إذا اقتضى الأمر دعته هذه الحالة إلى مجابهة الكون بأسره » [1]. و يتضح من هذا القول أن ظاهرة الرفض راجعة إلى موقف فرد أو جماعة لم يعد أو يعودون قابلين لاستمرارها، وقد يواجهونها بما يضمن أن يعوض.

الفرق بين التمرد والرفض

يشكل الرفض أو التمرّد أحد مرتكزات التحالف بين الفن و الحياة، "و أحد أبرز الأدوار الفاعلة للشاعر الملتزم" [2]. و رغم هذه المواقف المتباينة لهؤلاء الشعراء، إلاّ أنهم أبو إلاّ أن يحملوا شعارات الصدق مع الذات و الموضوع متحمّلين التبعات المترتبة عن مواقفهم،فالرفض و التمرّد، الثورة، المقاومة و غيرها مفردات ارتبطت بكل بساطة بحق مشروع يطالب به الشاعر الرافض ألا وهي الحرية، مطلب مثّل بالنسبة هؤلاء الحياة بأسرها، و جسدت الغاية الإنسانية منذ بدء الخليقة.

وبناء على ذلك، فقد اختلفت الرؤى حول معنى الرفض و التمرّد نتيجة لتقارب المعنى بين اللفظين ، والحقيقة أن بينهما فروقا لا يمكن إغفالها في هذا المقام حتى تزداد معنى الرفض وضوحا، فلا بدّ من التطرق إلى مفهوم التمرّد باختصار. هو « الرفض الكامل للوضع الإنساني ». [3] و هذا ما لم نجد له تأويلا في الرفض الذي يستند إلى القبول من جهة، و يطمع إلى التغيير من شيء حسن إلى أحسن وفق عقيدة دينية أو اتجاه سياسي أو مذهب فكري، و هو « شعور الأفراد في المجتمعات المختلفة بالعجز عن تحقيق بعض الأهداف الجوهرية في الحياة، و الأسباب التي تسبب هذا العجز و إن اختلفت أشكالها، فإنّها تولد حالة من الإحباط قد يصل إلى مستوى القنوط و اليأس».[4]

ومن هذا المنطلق، فإنّ الإنسان المتمرّد لا بد له من يحمل تخطيطا جيدا كخطوة أولى نحو التغيير و إلاّ فإنّه سيصطدم بمجتمع ينبذ هذا التغيير مما يؤدي إلى الإحباط.

وهناك من نظر إليه بوصفة« نمط سلوكي مبالغ فيه خارج عن حدود المألوف أو السواء، و هو شعور بالرفض لكل ما يحيط بالفرد و ما يترتب عليه من سلوك قد يتّصف بالعداء و الكراهية و الازدراء لكل ما اصطلح عليه المجتمع من قيم و عادات و نظم. أو هو السلوك الرافض لكل ما استقرّ عليه المجتمع و ألفه من عادات و تقاليد ».[5]

1- سالم محمد دنون « جماليات الرفض في الشعر العربي» مقاربة تأويلية في شعر أبي تمام، مجدولاي للنشر و التوزيع، عمان الأردن ، ط1 ،2001 ، ص 14.

2- إحسان عباس« محاولات في النقد و الدراسات الأدبية » دار العرب الإسلامية، ط1 ، 2000 ص 152

3- محمد حياتن« مفهوم التمرد عند ألبيركامي و موقفه من ثورة الجزائر التحريرية، دم ج .ط1 ،1984، ص 20.

4- سعد عبد الرحمن « السلوك الإنساني» مكتبة الفلاح ، ط3 ، 1983 ، ص 46.

5- المرجع نفسه ص 153.

وبما أنّه نمط سلوكي، فالنفس البشرية و تكوينها أثر بالغ لما يدور حولها فتتشكّل ردة الفعل إمّا بالقبول أو الرفض الذي يليه التمرّد،« لأنّ شخصية الفرد تنموا و تتشكل بفعل تفاعل الإنسان مع عناصر بيئته الخارجية، فهو معرض من خلال هذه العملية إلى تأثيرات تحرّكها هذه العناصر باختلاف أنواعها».[1] ويتضح من ذلك أن الرفض أمر في غاية البساطة فالكل يستطيع أن يرفض. و لكن هل كلّ رافض يستطيع التمرّد؟.

ومن هنا تتّضح معالم الموقف أمام الشاعر الرافض الذي يسأل عن الفعل ليجيب بالعصيان و المعصية والاحتجاج على التقاليد و المألوف متحملا لكل ما يترتّب عن موقفه هذا، لكنّه يظلّ دائما عاصيا متمرّدا، «إنّه يريد أن يتوحّد مع هدا الخير الذي شعر به فجأة و أن يحيا و يعترف به شخصه، إنّه يريد أن يكون هذا الكل أو أن يكون لا شيء أي أن تحرمه القوة المتحكّمة به حرمانا نهائيا و هو في النهاية يرضى بالحرمان و السقوط الأخير. و نعني الموت إذا كان لا بدّ من حرمانه من هذا التكريس الذي يسمّيه مثلا حريته، أنّه يؤثر أن يموت عزيزا رافع الرأس على أن يعيش عيشة الهوان» .[2]

والتمرّد « شهادة لا تماسك فيها و لا أحكام، و هو بمثابة حركة عاطفية تفتقر إلى الرؤية الواضحة. بل هو حركة لا نتيجة لها في الواقع، أي أنّه عبارة عن احتجاج غامض لا ينطوي على نظام أو مذهب»[3]،ولعلّ أكثر ما يميز التمرد عن الرفض، و بصفة خاصّة في الأدب و الفكر الأوربي كونه «يصبح بمرور الوقت تمرّدا ملحدا، إذ أنّه يخضع الله لمعايير الحكم الإنساني، و يبدأ في معالجته على أساس من الندية و يرفض التسليم بأنّه القوي الأوحد، و إذا ما ذهبت المكانة السامية التي هي (الله) فإنّ وفاته تصبح وشيكة الإعلان». [4]

وهذا المعتقد مرفوض و منبوذ في الثقافة العربية نتيجة لارتباطها بموروثنا الديني و لشعرائنا مواقف حاسمة في هذا الشأن لأنهم يهدفون إلى البناء، أمّا فكرة كهذه فتسعى إلى الهدم.

أمّا الرفض فهو عبارة عن مجموعة من الأفكار التي تبنّاها الرافض في مواجهة واقعه السياسي والاجتماعي و الفكري، فلا يواجه و لا يجابه واقعا بالرفض إلاّ إذا كان على يقين بأن ما يقدّمه يمكن أن يكون بديلا حقا يقوم مقام ما ينبغي استبداله.

1- المرجع السابق ص 153.

2- المرجع نفسه ص 153.

3- ألبيركامي أدب ». ترنهاد رضا ، منشورات عويجات ، بيروت ،لبنان ، ط3 ، 1983 ، ص 20.

4- محمد حياتن " مفهوم التمرّد عند ألبير كامي و موقف من ثورة الجزائر التحريرية ، ص 20-24.

ولربما تكونت فلسفة الرفض و تشكّلت في عقيدة علمية كان بمستطاعها التنسيق ما بين كل الأمثلة التي يقطع فيها الفكر مع مستلزمات الحياة» [1] و بمعنى الآخر أن الحياة قد تفرض على الإنسان الخضوع و الانقياد و الاستسلام لإرادة التخلف و التراجع، في حين يسعى هو بكل قواه الفكرية و الإنسانية و الأخلاقية إلى كسر قيود التبعية و الانفلات من قيود الرتابة والجمود حتى يحقق لنفسه الحرية التي تؤمن له السعادة و الهناء، فإذا ما تنازل الإنسان عن حقوقه وانصاع لفروضات المجتمع فقد حريته وأضحى في عداد الأموات، وفي هذا الصدد يقولirek frome « إنّ الفرد يكف يصبح نفسه: إنّه يعتنق تماما نوع الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية، و لهذا فإنّه يصبح تماما نوع الشخصية المقدم شأن الآخرين، و كما يتوقعون منه أن يكون ،إن الهوة بين (الأنا)والعالم تختفي و يختفي معها الخوف الشعوري بالوحدة و العجز.....و على أية حال فإن الثمن الذي يدفعه غال إنه فقدان نفسه».[2]

ومن هنا يكمل دور الرفض و أهميته في إعادة كرامة الإنسان التي جرفتها المعايير و القيم الاجتماعية السائدة، و التي وقفت في طريقه و حالت دون تطور الإنسان و تقدمه، و جعلته يسبح في بحر من الركود و الجمود.

ولعل أهم ما يميز الرفض عن التمرد هو قدرته على تجاوز حدود الفردية و الذاتية بعيدا كل البعد عن صفته الأنانية و مقدرته في أن يحمل صفة الشعور الجماعي، فعلى سبيل المثال، « الكثير من الرافضين على الرغم من اختلاف اتجاهاتهم وقفوا إلى جانب الإنسان في حقوقه من أي اضطهاد و قمع و ضد الأقليات القومية على الرغم من أنهم لا يمتون بأي صلة لهم. و لكن حق الإنسان المواطن هو الذي كان يعنيهم».[3]

وخلاصة القول بأن التمرد في أغلب أحواله عبارة عن خلل نفسي أو شكّ عقائدي أو نظرة تشاؤمية اتجاه الواقع. وقد لا يكون دائما حالة مرضية. بل ضرورة لتغيّر واقع هش سئم أصحابه مما يدور حولهم، أمّا الرفض فيقوم على فلسفة خاصة مبنية على قواعد يتبناها الرافض كقناعات فكرية تنشر البديل في صراعه مع الواقع.

1- غاشتور باشلار فلسفة الرفض ، ص 123.

2- إريك فروم « الخوف من الحرية » تر مجاهد عبد المنعم مجاهد ، سلسلة علم المعرفة ، ع 140 ، ص 150.

3- سعيد غانم " أدب الرفض السوفياتي"، دار النهار للنشر ، لبنان ، 1970 ص 27.

ومنطلق الرفض هو القوة لا الضعف من وعي الإنسان بضرورة التغيير نحو الأفضل و رسم واقع الناس و المجتمع و الكشف عن رؤى و مواقف أصحابها اتجاه الحياة، و الشاعر على اختلاف الأزمنة والعصور يبقى لسان أمته و ضميرها الحي الذي يسعى دوما و أبدا إلى الدفاع عنها و رفض كل أشكال القهر و والضياع.

شعرية الرفض

لم يرتبط الشعر في مضامينه بظاهرة من الظواهر النقدية بقدر ارتباطه بالرفض، و لا يكون الدارس مبالغا إذا رأى أن أجمل الإبداعات الشعرية قد تولدت بنيران الثورة و الرفض. « خدما شئت من المبدعين في الفن و استقص حياته، فسترى أنّه لم يبدع إلاّ لأنّه شدّ و انفرد و امتاز و خرج على ما ألفه من غيره من القيود» .[1]

إذن فإنّ اقتران الشعر بالرفض ميزة انفرد بها الشعر عن سواه من الفنون الأدبية الأخرى « و لعلّ ذلك راجع إلى طبيعة الشعر من جهة و إلى نفسية الشاعر من جهة أخرى، فأمّا ما يرجع من الشعر فلم يكن ولن يكون الشعر شعرا بحق إلاّ لأنّه ثوري بأوسع معاني الكلمة، فكل عمل شعري يستحق هذا الوصف بجدارة إنّما ينطوي على رؤية للواقع ترفض فيه عنصر السكون و تتمرد عليه، فالشعر خروج عن سكون اللاّ تاريخ إلى حركة التاريخ، و هو بهذا المعنى فعل ثوري من الطراز الأول و الضمان الأدبي لاستمرار فعل الرفض الثوري».[2]

أمّا ما يرجع إلى الشاعر، فالشاعر المثقف يعيش في حالة صراع دائم، فهو لا يرضى حالة الركود و الكسل و التراخي، بل يحبذ الحركة الدائمة و التغيير الذي يتلائم و نشاطه العقلي و الفكري، فهو كلّما وصل إلى مرحلة معيّنة من التفكير يتجاوزها بحثا عن مرحلة جديدة، و هذه سمة الشعر التي تجعل الشاعر في حالة بحث دائم، و من هنا يكون إبداعه الشعري متّسما بالسخط والانفعال ثم الثورة و الرفض.

1- فاروق العاصمي ،" آفاق التمرد" قراءة نقدية في تاريخ الأوربي و العربي و الغربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 2004 ، ص 8.

2- عز الدين إسماعيل ، "ابن قتيبة الشعر و الشعراء " تقديم الشيخ حسين تميم ، مراجعة محسن عبد المنعم العريان ، دار الحياء العلوم ببروت ، ط3 ، 1987 ، ص34

ولقد لاحظ النقاد العرب القدامى كيف أن الغضب يكون دافعا لقول الشعر ينتقد من خلال الوضع الذي يرفضه، وقد وضّح ابن قتيبة ذلك في كتابه حيث قال: « و للشعر دواع تحث البطيء و تبعث المتكلف منها، الطرب ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الغضب » [1]و يروي ابن قتيبة في موضع آخر قصة مفادها أن عبد الملك بن مروان. قال لأرطأة بن سهيّة « هل تقول الآن شعرا؟ فقال كيف أقول و أنا ما أشرب و لا أطرب و لا أغضب، و إنّما يكون الشعر بواحدة من هذه ». [2]

ومن هنا يتضح لنا أن الغضب قد اقترن بالشعر العربي عبر مسيرته التاريخية، ولعلّ أقدم النصوص التي وصلت إلينا و مثلت هذا الاتجاه هو الأدب الشطار و العيارين،فقد كان هذا الأدب وسيلة من وسائل الرفض التي تهدف إلى التنفيس عما يشعر به هؤلاء على المستوى الفردي و القبلي،وعدت تنظيمات الشطار و العياريين تنظيمات اجتماعية تتخذ طابع العنف و الفوضى، « و لقد وصفت فروسيتهم بالفروسية المتمردة»[3] ،اتخذ أصحابها من اللّصوصية وسيلة وسائل التمرد الرافض للواقع .

وإلى جانب هذه الفئة نجد طائفة أخرى من الخلفاء و الأغربة و الفقراء اللذين ساء سلوكهم، فخلعتهم قبائلهم، و قد عرفوا " بالصعاليك"،والمتأمل في أخبارهم و أشعارهم و سيرتهم يلفت نظره شعور حاد بالفقر و التشرّد و هوان منزلتهم الاجتماعية، و عدم تقدير المجتمع لهم و عجزهم عن الأخذ بنصيب الحياة كما يأخذ سائر أفراد المجتمع لا لأنّهم عاجزون و إنّما لأن الهيئة الاجتماعية قد حرمتهم من تلك العدالة الاجتماعية التي يطمح إليها كل فرد في مجتمعه و جردهم من كل الوسائل المشروعة التي يواجهون بها الحياة ، فأبت نفوسهم بما تحمل من عزّة و كرامة أن تستكين لهذا الوضع. تدفعهم عصا السادة و تحركهم كبرياء المتسلطين، فلم يجدوا أمامهم إلاّ الصعلكة وسيلة وسائل الرفض لإثبات وجودهم و رفع هذا الظلم و الهوان الذي يريد المجتمع أن يفرضه عليهم.

وشعر الصعاليك ينبأ عن صراعهم العنيف في إثبات كيانهم في المجتمع، وقد عبّروا عن ذلك بصراحة، وعلى رأسهم عروة بن الورد. و الشنفرى، في لاميته التي مطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإنّي إلى قوم سواك لأميل.
فقد حمّت الحاجات و الليل مقمر و شدت لطيّات المطايا و أرحل
و في الأرض منأى للكريم عن الأذى و فيها لمن خاف القلى متعزل(4)

1-ابن قتيبة الشعر و الشعراء ،" تقديم الشيخ حسين تميم ، مراجعة محسن عبد المنعم العريان ، دار الحياء العلوم بيروت ط3 ، 1987 ، ص34

2-المصدر نفسه 34-35

3- محمد رجب النجار، « حكاية الشطار و العيارين » حكايات في التراث العربي ، الهيئة الوطنية للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1978 ، ص 5.

4- ابن عبد ربه ،"العقد الفريد"المطبعة الأزهرية" ، دط ،دت ،ج3 ،ص290

و قد صدرت ثورة هذين الشاعرين عن غضبهما على أحكام القبيلة التي شردتهما،و قد انعكس ذلك بشكل جلي على شعرهم مما جعلهم يصطبغ بخاصيتي الرفض و الثورة.

ونجد في صدر الإسلام أنّ شعراء الدعوة الإسلامية الذين اعتنوا بالدين الجديد كانوا أشدّ رفضا للوثنية التي كانوا عليها و أكثر وفاءا للنبي محمد صلى الله عليه و سلمن و بالمبادئ التي جاء بها.،و لقد استخدم أعداء الإسلام كل الوسائل للقضاء على الدعوة، و كان سلاح الشعر أخطرها في تشويه العقيدة و تحريف تعاليم الإسلام. مما قد يؤثّر في الذين لم يستقرّ عقولهم بعد ملامح الدين الجديد،و لذلك أوجب على النبي صلى الله عليه و سلم اختيار شعراء لهذا المقام، وجاء قوله: « لسلاح البيان أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام» [1] ؛فكان حسان بن ثابت و كعب بن مالك للهجاء بالأيام و المثالب، و كان بن رواحة للهجاء بالكفر،« فليس من الطبيعي أن يترك الشعر بمعزل عن هذه الأحداث لأنّه في ذلك الزمان كان أقوى سلاح حتى من السيف».[2]

أمّا في العصر الأموي، فنجد أنّه قد شهد ميلاد حركة شعرية واسعة و اتّسمت بالرفض، و لعلّ ذلك راجع إلى طبيعة هذا العصر وواقعه السياسي و ما كان يصور فيه من مواقف حزبية و عقائدية متنافرة منها «حزب الشيعة، وحزب الموالين لأهل بيت النبي و حزب الخوارج و الزبيريين».[3] و حرص كل حزب أن يكون له دعائه من « الشعراء و الخطباء يحركون عواطف الناس و يثيرون حماسهم من ناحية ويستملون أفكارهم بإقناع و الحجة من ناحية أخرى ».[4]

ولذلك كان من البديهي أن يتسع نطاق الرفض و لاسيما السياسي منه و برز الهجاء بين شعراء القبائل الذين لم يقفوا بعيدين عن هذا الصراع، و لعلّ أبرزها ما دار بين جرير و الأخطل و الفرزدق الذي عرف باسم " النقائض"، فاستبدلت مطالع القصائد من الغزل إلى الفخر و الهجاء أو المدح، و صار الشعر يمسّ العقل و المنطق أكثر مما كان موجها للعواطف وهو " بذلك يصور لنا من هذه الناحية التطور الذي أصاب العقل العربي في هذا العصر".[5]

1- أبو عبد الله ابن إسماعيل البخاري ،"صحيح البخاري". دار ابن الكبير ، دمشق بيروت – ط1 ، ج5 ، ص 420 .

2- بنظر عبد الرحمن خليل إبراهيم.، " دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول" س، و، ت ، الجزائر ، ط1 ، 1971 ، ص 267.

3- ينظر عمر فاروق الطباع ،" مواقف في الأدب الأموي " دار القلم بيروت ، ط1 ، 1991 ، ص 21.

4- المرجع نفسه، ص 22 .

5- شوقي ضيف،" التطور و التجديد في الشعر الأموي" ،دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، دط ،1981 ص 276.

وشهد العصر العباسي رواجا واسعا لهذه الظاهرة نتيجة لكثرة الصراعات الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية (خاصة بين العلويين و العباسيين)، وانتشار اللّهو و المجون و قد تعدد مظاهرها بين شتى طبقات المجتمع و إسراف الخلفاء العباسيين و حاشيته في شتى المظاهر الاجتماعية، و لا ريب أنّ هذا كلّه كان على حساب العامة المحرومة التي كانت تحيى حياة بؤس تقوم على شظف العيش،و لعلّ هذا الفساد الأخلاقي و الظلم الاجتماعي و الاضطراب السياسي الذي عاشه المجتمع العباسي في هذه الحقبة هو الذي دفع زمرة من الشعراء و الأدباء أمثال بشار بن برد، و المتنبي، و دعبل الخزاعي وأبو تمام و غيرهم إلى رفض هذه الأوضاع.

ها هو بشار بن برد يعبّر عن ثورته و غضبه عما فعله العباسيون بالعلويين في بداية حكمهم.

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

كأنّك لم تسمع بقتل متوّج عظيم و لم تسمع بفتك الأعاجم

تقسم كسري رهطه بسيوفهم و أمسى أبو العباس أحلام نائم (1)

أمّا دعبل الخزاعي، فقد هجا المعتصم لشدة تعصبه للأتراك الذين لم يبالوا بشيء في سبيل أهوائهم وشهواتهم و اعتدوا على قدسية الخلافة و جلال الخلفاء و كانوا كثيرا ما يتعرّضون للحريم و الغلمان فكرههم الناس كرها شديدا » (2) .

أمّا المتنبي « فقد تنبه إلى ما كان يهدّد الكيان العربي و الإسلامي من انحلال داخلي يمكن إرجاعه إلى التصدع الأخلاقي و السياسي و الاقتصادي، و التهديد بانحلال من طرف أمم مجاورة كالروم و الفرس والترك و إهمال أمور الرعية، فتجلي موقفه من هذا بالرفض و التنبيه لسلبياته».(3) و دعا إلى « مذاهب جديدة فيه عزّة النفس و كرامة الفرد و حرية الحياة ».(4)

وقد شهد هذا العصر إقبال المجتمع العباسي على الحانات و دور القيان و غيرها من مظاهر اللهو والمجون و الانحلال الأخلاقي مما دفع ببعض التوجهات الفكرية إلى محاولة تدارك هذا الأمر.« فظهر الزهد كردّ فعل مباشر لرفض هذا الانحراف و الفسوق و العودة إلى كتاب الله تعالى و سنّة نبيه الكريم.

1- صبار نور الدين " شعر الرفض في العصر العباسي الأول " ثنائية الثبات و التغير ، دار العرب للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 2002 ، ص 82 - 83 .

2- محمد عبد المنعم الخفاجي،" الحياة الأدبية في العصر العباسي "، دار الولاء الدنيا للطباعة و النشر ، مصر ن ط1 ، 2000 ، ص 17 .

3- الجاحظ ،" البيان و التبين" ، مطبعة الفتوح الأدبية ، ج2 ، دط ، دت ، ص . 329

4- محسن عبد المنعم الخفاجي ، "الحياة الأدبية في العصر العباسي "، ص113.

كما تمظهر الرفض أيضا في بناء القصيدة العربية متمثلا في الثورة على الأطلال و الوقوف عليها، و لعل ذلك لم يكن إلاّ تمثيلا لجانب من جوانب الرفض لمعطيات الواقع القهري الذي يحاول الانتقاص من وجود الإنسان، و يعمل على سلب حريته و لذلك لم تكن الثورة الشعرية التي نطالعها في شعر بشار بن برد وأبي نواس و أبي تمام و البحتري....إلخ ، إلاّ تعابير متنوعة عن هذا الواقع، و لم يسلم كل منهم من تهمة الزندقة أو الشعوبية أو الخروج عن عمود الشعر أو الغموض فضلا عن السجن و القتل كنتيجة لهذه الرؤى و المواقف الاجتماعية التي عبّر بها هؤلاء الشعراء تعبيرا فنيا جديدا مخالفا لما هو سائد آنذاك، وما تحمله من خروج عن المألوف بعيدا عن إناء الدلالات و الخبرات و الرؤى الجامدة »[1].

ولم تجد هذه الظاهرة ضالتها إلاّ في العصر الحديث، فاستهل الشعر رفضه بالثورة على عمود الشعر، زاعمين أنّ القالب القديم لا ينسجم مع روح العصر خاصّة و أنّ عصرنا هو عصر العلم و الديمقراطية والحرية الإنسانية، و كانت أولى بوادر هذا الرفض و إرهاصته هي رفض القالب الشعري القديم لأنّه اهتمّ بالقشور على حساب اللّباب و بالزيف على حساب الحقيقة، و بالمصلحة الفردية على حساب المصلحة الجماعية التي تنأى بالشاعر على دروب الحرية.

ولقد نجح رواد الشعر الرافض في إخراج الشعر العربي من القواعد التي استنبطها الخليل واضعين هندسة جديدة هو صنو الحرية، وهكذا ولد « شعر التفعيلة كحركة شعرية جديدة الشعر من كل شرط سابق أو قالب سابق »[2] ،وانتقل هذا الرفض من النظام التقليدي القديم للقصيدة العربية إلى ثورة رافضة لكلّ أنواع الظلم و الطغيان التي تهدّد أشكال الإنسانية، و تعبيرا عن هموم و مصائب اجتماعية و سياسية و فكرية لم يطقها عامة الناس.

ومن هنا أجاز شعراء الرفض لأنفسهم أن يشرّحوا تلك العيوب و النقائص الوطنية و القومية تشريحا لم يخل من قسوة.

1- رجب هدى العبيدي ، "فاعلية شعر الرفض و التمرد أمل دنقل عبد الرؤوف بابكر" ، ص 49

2- نزار قباني ". قصتي مع الشعر سيرة ذاتية ، منشورات نور ن ط3 ، بيروت ، 1979 ، ص 180.

فها هو نزار قباني يصوّر العصر بأنّه عصر غضب بالتالي لا بد أن نتبنّى هذا الغضب ثم نرفض كلّ مذلة وانكسار.

نرفض أن نكون كالخرفان وادعين
نرفض أن نكون مسطولين دائخين
يا شعرنا كن غاضبا
يا نثرنا كن غاضبا
يا عقلنا كن غاضبا

فعصرنا الذي نعيش فيه عصر الغاضبين[1].

أما الشاعر عبد الوهاب البياتي، فإنّه يعلن الرفض و الثورة و يأبى الاستسلام لهذا الواقع، ففي قصيدة موت المتنبي[2]، يصور من خلالها الضغوط التي تمارسها السلطة على صاحب الكلمة المعاصر ليصبح بوقا في جوقتها يهلل لانكساراتها، و يمجد سقوطها و يتغنى به و إحساسه بالذل و الانكسار وهو يمارس هذا الدور الكريه و يبين تمزقه الأليم بين خضوعه لهذا الدور و بين ما يفرض عليه من عذابات باهظة

إذا هو رفض ،لكن رغم ذلك يؤمن بأنّ صوته الناصع سينتصر في النهاية حيث يقول:

سفينة الضباب يا طفولتي، تطفو على بحر الدموع
تسبح في مرفئها ..... تجوع.

تزني على رصيفهم، تستعطفه الخليفة ، الأبله ، تستجدي ، تهزّ بطنها ، ترقص فوق لهب الشموع
سفينتي شائخة
لكنها و البحر في انتظارها تهم بالرجوع
يعلك أصفادا ثقالا

1- نزار قباني أعمال السياسية الكاملة، لبنان بيروت ، ط2 ن ج3 ، 1982 ، ص 137.
2-عبد الوهاب البياتي ، ديوان النار و الكلمات ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1964 ، ص 155.

وفي السياق ذاته يذهب الشاعر محمد أحمد العزب فيعبر في محاكمة[1] على لسان أبي نواس عما أصبح يسود شعرنا الحديث من سأم و ملل و حزن عبثي ثقيل بدل أن يفيض بالحديث عن بهجة الحياة و ملاذها.

و من هنا يتجلى نظرة السخط و الرفض لهذا الواقع و يؤكد بحتمية التغيير إذ يقول

و النّواسي يقول:

أيها الشاعر قل لي: ما جرى للشعر في هذا الزمان.

لم يعد للخمر في الشعر مكان.

دائما يقطر حزنا عبثيا .....و ملالا دائما

أما الشاعر محمد عز الدين المناصرة، فقد طغت ملامح الرفض على أبعاد تجربته الشعرية، ففي قصيدة أضاعوني [2] ، يعبر من خلال شخصية امرئ القيس عن خذلان الأمة العربية لأهله ولقضيته كما خذلت القبائل الملك الظليل حيث يقول:

الكل أقسم أن ينام

يا هذه المدن السفيهة، إنني الولد السفيه.

لو كنت أعرف أن نارك دون زيت.

لو كنت أعرف أن مجدك من زجاج ما أتيت.....

إن الذين أتيتهم صبغوا الوجوه.

و أنا أريد بني أسد

قتلوا أبي و استأسدوا، ما عاد ينهرهم سوى الخيل الضوامر و السيوف بلا عدد.

ومن هنا نستنتج أن شعراء الرفض يرون أن شعرهم هو أقوى وسيلة تعبر عن وطنيتهم و مدى إلتزامهم بقضايا المجتمع وواقع الأمة، و لعل أبرز هؤلاء هو الشاعر أمل دنقل الذي أدّى دورا بطوليا في تمثيل الضمير القومي مما جعله يلقب بأمير شعراء الرفض، فقد كانت الظروف السياسية و الاجتماعية الخانقة التي مرّ بها الوطن العربي سببا في إثارة شاعرية أمل، و تعاظم هذا الإحساس أكثر فأكثر بعد نكبة 1967 في ازدياد موجة الرفض التي تأصلت في نفسية الشاعر مما جعلته يتوحد في الارتباط بهموم المجتمع و قضاياه، فراح يسجل مواقف الانحراف و يعري الواقع بقسوة.

1-احمد العزب ،"ديوان مسافر في التاريخ"،منشورات وزارة الثقافة، دمشق ،دط ،1997.

2- محمد عز الدين المناصرة ، ديوان الخروج من البحر الميت" ، دار العودة ، بيروت،ط1،ص55

ولذلك لم يكن صدفة أن يكون ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " و أن تكون أول قصيدة من العنوان نفسه تعبيرا عن الرفض للواقع العربي بما يحمله من هزائم حيث يقول:

أيتها النبيّة المقدسة
لا تسكتي ..... فقد سكت سنة فسنة
لكي أنال فضلة الأمان.
قيل لي " اخرس "
فخرست ... و عميت ... و ائتهمت بالخصيان!
ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان.
أجتزّ صوفها.
أرد ذوقها
أنام في حظائر النسيان
طعامي الكسرة ..... و الماء ..... و بعض التمرات اليابسة

و ها أنا في ساعة الطعان
ساعة تخاذل الكماة .....والرماة والفرسان
دعيت للميدان!(1)

لقد استغلّ الشاعر ملامح من حياة عنترة في نقل أبعاد تجربته موجّها حديثه إلى زرقاء اليمامة التي تمثل في القصيدة القوى القادرة على كشف الأخطار و التنبؤ بما قبل وقوعها.

وتتوالى مظاهر الرفض و تزداد حدّة مع طغيان معالم البطش الخارجي و كبت الحريات، ففي قصيدة مقابلة خاصة مع ابن نوح، ينتقد الشاعر السلطة السياسية لقمعها للإبداع و المبدعين و لتوجّهها للصلح مع العدو الصّهيوني في قوله:

" صاح بي سيد الفلك قبل حلول السكينة
انج من بلد... أم تعد فيه روح
قلت: طوبي لمن طعموا خبزه...

1-أمل دنقل ،"الأعمال الشعرية الكاملة ،" دار العودة ،بيروت،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط 2 ،1985، ص395 -396.

في الزمان الحسن
و أداروا له الظهر
بوم المحن !
و لنا المجد .... نحن الذين وقفنا
(وقد طمس الله أسماءنا)
نتحدّى الدمار

و جاءت شخصية (بن نوح في هذا المقطع ،كقناع استعان به الشاعر ليعبّر من خلاله عن مدى معاناته في « محاولة فهم الواقع و الدفاع عن حضارته و لكن دون جدوى[2] .

لقد كان أمل دنقل شاعر موقف وليس شاعر روى، و قد أدرك أن الشعر ليس مجرد أداة لتصوير جوانب الحياة الإنسانية، بل هو وسيلة إثراء للحياة و تغير للواقع، فالشعر الذي يقف بعيدا عن هذه الصورة يرفضه و يسميه « فن التعزية. » يقدم له المرح و يرثيهن و لابد أنّ هذه القناعات الفكرية هي التي شكلت هذه الرؤية لدى الشاعر و جعلت
شعره يتجول من السعي الحتمي نحو الموت إلى مقاومة و تحدّ، و من هنا يكتسب مفهوم الحرية عنده كبديل للانتحار معنى الثورة. فالثورة مشروع يحتاج إلى الكفاح و الجهاد حتى له النجاح و الخلود.

1- المرجع السابق، ص 395 – 396 .

2-سبب البحراوي الحداثة العربية في الشعر المعاصر ن دار المعارف ، ط مر ، ص 151 - 152.

الفصل الأول

عوامل قيام فعل الرفض في شعر أمل دنقل

1- ترجمة للسيرة الذاتية للشاعر:

أ – المولد و النشأة:

ولد "محمد فهيم محارب دنقل[1] في 23 يونيو سنة 1940[2] ، بقرية القلعة محافظة قنا في صعيد مصر، في بيئة محافظة دينا و عرفا، كان والده عالما من علماء الأزهر مما أثر في شخصيته و قصائده بشكل جلي، سمي بهذا الاسم لأنّه ولد في نفس السنة التي حصل فيها والده على الإجازة العالمية، فسماه باسم أمل تيمنا بالنجاح الذي حقّقه.

كان والده يكتب الشعر العمودي، و امتلك مكتبة ضخمة تضم كتب الشريعة و الفقه و التفسير، إلى جانب كتب من التراث و الشعر القديم مما أثّر فيه و ساهم في تكوين اللبنة الأولى للأديب.

عرف أمل فقد أبيه في العاشرة من عمره، علمه الفقر و الألم و المرارة و الظلم أن يصبح رجلا منذ طفولته، « يرفض أكل الحلوى لأنّها في نظره لا ترتبط بالرجولة، كما يرفض دور السينما لأن ذلك لا يليق بشاب جاد ».[3]

كانت مكتبة والده بما احتوت من كتب أول مصادر ثقافته، حتى أنّه و هو ابن الرابعة عشرة من عمره يكتب القصائد الطوال و يلقيها في الاحتفالات المدرسية و المناسبات الدينية و الاجتماعية و الوطنية...الخ، اشتهر في صباه بأنه كان شديد التدين و المواظبة على الصلاة، و كان لثقافته العالية في أغلب المجالات دور هام في القيام ببعض النشاطات مثل إلقاء خطب الجمعة في المساجد و إمامة المصلين.

سافر أمل إلى القاهرة ليكمل دراسته بعد أن أنهى المرحلة الثانوية لكنه تخلّى عنها بعد أن تأكد من فشله فيها، فاتجه إلى العمل محاولا أن يخفف عن أسرته الألم الذي تسبب لهم فيه بفشله في الدراسة الأكاديمية، عمل أمل في مصلحة الجمارك بالإسكندرية في وظيفة مساعد مأمور، وقد نشر بعض قصائده الأولى في جريدة الأهرام، « و نال في تلك السنة بالذات جائزة المجلس الأعلى للأدب و الفنون و الشعراء الشباب لأقل من ثلاثين عاما ».[4] و كان في ذلك الوقت في الثانية و العشرين من عمره، و صار من شعراء الإسكندرية المعروفين.

1- سلامة آدم " أوراق من الطفولة و الصبا " مجلة الإبداع ، ع10 السنة 1 ، 1983 ، القاهرة ن ص 8.

2- جابر عصفور " ذاكرة الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب" ، القاهرة ، دط ، دت ص 344 .

3- أحمد سويلم شعراء العصر القصير ، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1 ، 1999 ، ص 173.

4- أحمد الدوسري " أمل دنقل شاعر الخطوط على النار " المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمان الأردن ، ط2 ، 2004 ، ص 35 .

انتقل أمل إلى العمل في فرع المصلحة في السويس، و لكنه كان دائما ما يترك العمل و ينصرف إلى كتابة الشعر.

عايش أمل معاناة مجتمعه و لمس جراحه، كما عاصر أعلام العروبة و الثورة المصرية مما ساهم في تشكيل نفسيته، و قد عبّر عن صدمته بنكبة 1967 عبر ديوانه « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة » " و تعليق على ما حدث" مصورا أبعاد هذه الهزيمة قبل وقوعها، ناعيا تخاذل الحكام الذين باعوا دماء شهداء الأمة التي لم تكن قد جفت بعد، كما شهد بعينيه ضياع النصر و صرخ مع كل من صرخوا ضد معاهدة السلام فأطلق رائعته "لا تصالح" عبّر من خلالها عن ما جال في خاطر كل المصريين، كما نجد تأثير هذه المعاهدة و أحداث يناير 1977 واضحا في مجموعته العهد آتي.

ب – مرضه

تزوّج أمل من الصحفية عبلة الرويني عام 1978، و بعد عدّة أشهر من زواجه اكتشف أنه قد أصيب بالسرطان، فأدخل إلى المعهد القومي للأورام، و استقر بالغرفة (8) التي حملت إسم ديوانه الأخير "الأوراق الغرفة 8" عبّر من خلاله عن عالمه النفسي الخاص، و استعداده للموت.

ج – وفاته

ظل أمل يقاوم المرض و لم يستسلم حتى دق الموت جرس الإنذار صباح السبت الحادي و العشرين من شهر مايو سنة 1983[1] تارك خلفه ذكريات راسخة خلدت مواقفه في صدقها و فاعليتها و تمرّدها و نضالها حتى الموت.

1- ينظر محمد عبد الواحد ،" أمل دنقل الموت على مشانق الصباح" ملف خاص ، جريدة القاهرة ، العدد 162 ، 2003 ، ص 7 .

د – إصداراته الشعرية :

صدرت له ست مجموعات شعرية و هي:

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة 1969

تعليق على ما حدث. 1971

مقتل القمر 1974

العهد الآتي 1975

أقوال جديدة عن حرب البسوس. 1976

أوراق الغرفة 1983

2– عوامل الرفض لدى الشاعر:

1– العامل السياسي:

لقد كانت علاقة الشاعر بالسلطة علاقة الحاكم بالمحكوم، و عليه فإنّ الحرية كانت مطلب الشعراء دوما و أبدا عبر التاريخ، لاسيما إذا كان الشاعر شاعرا قد عاصر قضايا المجتمع و الأمّة و أحس بضرورة زعزعة هذه الأوضاع، و لعل هذا ما جعل الشعراء عموما و الشاعر المعاصر خصوصا يحرص طيلة حياته على تقديم نماذج شعرية رافضة تمثل صلابة الموقف المتأتي من رؤية صافية وفية لأحلام الأمة يعادلها صلابة شعرية لا يخطئها القلب .

والشاعر أمل دنقل من أبرز شعراء العرب الذين سخروا شعرهم للدفاع عن قضايا الوطن و الأمّة، شاهرا سوطه اللّغوي النازف في سبيل الدفاع عن الناس البسطاء المقهورين، داعيا الجماهير إلى عدم الخضوع و الخنوع للسلطة الغاشمة التي تقودهم في نهاية المطاف إلى الهلاك المحتّم .

و خير ما يمثل هذا المشهد قصيدة كلمات سبارتكوس الأخيرة التي يقول فيها:

المجد للشيطان ..... معبود الرياح.

من قال (لا) ..... في وجه من قالوا (نعم).

من علّم الإنسان تمزيق العدم

من قال (لا) ..... فلم يمت و ظل روحا أبدية الألم.

إلى أن يصل إلى قوله

معلق أنا علي مشانق الصباح.

و جبهتي للموت منحنية.

لأنّني أحنها حية.[1]

ففي هذه القصيدة نلاحظ تنقل واضحا بين تمرد الشيطان الذي خرج و رفض السجود إلى شخصية سبارتكوس ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت نفسه للحرية فقال (لا)في وجه القيصر، و ظلت روحه الأبدية تزرع الشجاعة في صفوف العبيد الذين أبوا أن يقتلوا في سبيل متعة الأسياد، والقصيدة تعكس دعوة صريحة من الشاعر إلى رفض كل مظاهر الظلم و الطغيان لكل ما من شأنه المساس بالقيمة الإنسانية.

لقد شهد أمل في حياته العديد من الأحداث السياسية التي مرّت بها مصر و الأمة العربية و لم يبق الشاعر بعيدا عن هذه الأحداث و المستجدات، بل كان يسايرها و يشارك فيها بشعره الذي يعدّ سجلا حافلا بها، وقد ترسخت في ذهنه فكرة النضال في سبيل تحرير الأرض من الاحتلال.»[1]

ففي سنة 1970 يصدر الشاعر قصيدته بعنوان (تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات) جسّد فيها موقفه من الحكم الناصري بعد نكسة 1967، فيمزج بين هزيمة العرب أمام إسرائيل سنة 1948 وبين ثورة الفارين و يصفها بأنّها ثورة الخونة إذ يقول:

قلت لكم في السنة البعيدة

عن خطر الجندي

عن قلبه الأعمى، و عن همته القعيدة

يحرس من يمنحه راتبه الشهري

و زيّه الرسمي

ليرهب الخصوم بالجعجعة الجوفاء.

و القعقعة الشديدة

لكنّه ... إن يحن الموت

فداء الوطن المقهور و العقيدة

1- أمل دنقل " الأعمال الشعرية الكاملة " ، قصيدة كلمات سبارتكوس الأخيرة ، ص 110 .

فرّ من الميدان

و حاصر السلطان

و اغتصب الكرسي

و أعلن "الثورة" في المذياع و الجريدة [1]

و يستمرّ مشهد الرفض السياسي لدى الشاعر، ففي قصيدة الموت في الفراش يصوّر لنا موقف الأمّة مما حدث في عام 1967 و يكشف عن وعي الناس بتلك الأساليب الملتوية التي تلجأ إليها السلطة في ترويض الناس.

أيّها السادة، لم يبق انتظار

قد منعنا جزية الصمت لمملوك و عبد

و قطعنا شعرة الوالي " ابن هند "[2]

ليس ما نخسره الآن سوى الرحلة من مقهى إلى مقهى ... و من عار لعار.

وهنا يستغل الشاعر شخصية معاوية بن أبي سفيان و يجعلها رمزا للخديعة و المكر التي تلجأ إليها السلطة الحاكمة، و قد أشار إليه من خلال عبارته الشهيرة " لو كان بيني و بين الناس شعرة ما انقطعت لأنّهم إن شدّوا أرخيت و أرخوا شدّدت "،و من هنا يتّضح أسلوبه في التعامل مع الرعية و هو اللجوء إلى الملاينة إذا ما لاحظ في الرعية تمرّدا والاستبداد إذا لاحظ بهم رخاوة و تهاونا، فالشاعر يعلن رفضه لهذا الأسلوب و يؤكّد أن الأمة لن تستكين لأي سلطة بأن تستبدها و تظلمها، بل ستشد من جانبها هي لتقطع الشعرة معها صلة الخضوع التي تربطها بالسلطة.

وفي قصيدة " الكعكة الحجرية "، يعلن الشاعر رفضه لكل أشكال تذليل أبناء الشعب المصري التي قامت بها مؤسسات القمع التابعة لحكم السادات « خاصة بعد المظاهرات البطولية التي قام بها طلاب جامعة القاهرة عام 1972، فكان أن واجهتها السلطات بالرصاص»[3]، ففي الإصحاح السادس في القصيدة سرد مباشر للأحداث يبين فيه الشاعر أساليب القمع و أشكاله، فيذكر ساعة الحدث و مكانه و كيفية وقوعه بقوله

1- أمل دنقل الأعمال الكاملة ، ص 214 .

2- أمل دنقل " ديوان تعليق على ما حدث " ، دار العودة بيروت ، 1970 ، ص 89 .

3- هاني الخير « أعلام الشعر العربي الحديث » ،أمل دنقل شاعر الوجدان و التمرد ، دار و مؤسسة رسلان للطباعة و النشر و التوزيع سوريا ، دمشق، دط ، 2017 ، ص 31

دقت الساعة الخامسة
ظهر الجند دائرة من دروع و خوذات حرب
هاهم الآن يقتربون رويدا .. رويدا
يجيبون من كل صوب.
و المغنون – في الكعكة الحجرية – ينقبضون
و ينفجرون
كنبضة القلب ! [1]

وقد استعان الشاعر عبارة الساعة الخامسة من قصيدة الشاعر الإسباني لوركا المعنونة " بكائية اغناسيو سانشيت ميخياس ، ففي قصيدة لوركا ترمز تكرار هذه العبارة إلى الميقات الذي قتل فيه صديقه المصارع في حلبة الثيران » .[2] و قد استعار أمل هذه الدقائق لتوثيق هذا الحدث.

و امتلك أمل درجة عالية الوعي بالواقع ما مكنه أن يحس باتجاه الأشياء و الأحداث، وقت ظهرت مقدرته هذه في قصيدته الأرض و الجرح الذي لا ينفتح، حيث رأى الهزيمة 1967 قبل حدوثها بعام، صورّ فيها نتائجها و تداعياتها فكانت حالة مرثية للأمة العربية ».[3] حيث يقول:

الأرض مازالت بأذنيها دم من قرطها المنزوع.
قهقهة اللّصوص تسوق هودجها ..... و تتركها بلا زاد.
تشد أصابع العطش المميت على الرمال.
تضيع صرختها بحمحمة الخيول.
الأرض ملقاة على الصحراء ... ضامئة
و تلقي الدلو مرات ..... و تخرجه بلا ماء !

1- أمل دنقل الأعمال الكاملة ، ص 294 ، 295 .
2- نسيم مجلي ، " أمل دنقل أمير شعراء الرفض " ، مكتبة الأسرة ، دط 2000 ، ص 15 .

و تزحف في لهب القيظ...
تسأل عن عذوبة نهرنا .
و النهر سممه المغول
.....
إلى أن يصل في القول
من أنت يا حارس؟
إني أنا الحجاج..
عصبني بالتاج...
تشرينها الفارس[1].

و يصور لنا الشاعر في هذه القصيدة الواقع العربي الأليم وما أصابه من فساد في الحكم، فالأرض العربية قد سرقها المحتل الذي استنزف خيراتها، بعد أن باعها الخونة و تركوها منحية للموت والاستلاب. و من هنا يتضح أن موجة الأحداث السياسية التي اجتازت مصر و العالم العربي كانت من بين الدوافع التي أثرت في شعره ووسمته بسمات الرفض و جعلت منه شاعرا ملتزما اتجاه قضايا وطنه، و انعكست روح القومية في ذاته.

2- العامل الإجتماعي:

لقد توحد أمل في الارتباط بقضايا وطنه و مجتمعه، فراح يرصد هموم الحياة الاجتماعية في مصر ويكشف عن طموح و أمال شبابها انطلاقا من حرية كاملة تنبع من ضميره و فكره، فرؤيته للعالم « لم تكن رؤية اجتماعية صرفا ولا ذاتية صرفا، و إنّما هي رؤية من خلال الذات »[2] ، و قد تجلى ذلك في بناء مجمل قصائده التي تنادي بالتمرد و الثورة و المقاومة.

ففي قصيدة العشاء الأخير يصف الشاعر كبت الحريات في المجتمع المصري منذ عصر الصعاليك حيث يقول:

" الرياح" اختبأت في القبو ، حتى تستريح ....
..فيه من أرجحة الأجساد فوق المشنقة
ووقفنا نحرس الباب ، و نحمي الأروقة

1- أمل دنقل الأعمال الكاملة ، ص 99 ، 100 .
2- عبلة الرويني ، " الجنوبي دار سعاد الصباح – القاهرة " ، ط 1 1992 ، ص 57 .

بينما خيل المماليك تدق الأرض بالخطو الجموح.
يقتفون الأثر!
يسألون الدرب عن خطوة ريح فيهن عن أية ريح !
فتغض البصرا:
و مضوا، السنبك المجنون يهوي ، فيصب الشررا.
و تواروا في الجواري الضيقة.
... نحن عدنا نحمل البشرى لها
و هتفنا باسمها
و هززنا كتفيها ، عبثا...
و تدلت رأسها في راحتينا ...ميتة ! [1]

فالشاعر يرصد لنا صورة صادقة من عصره يملؤها الإحباط و اليأس الناتج عن فقد الحريات لدى الشعب الذي لا حول و لا قوة له أمام طغيان السلطات.

وقد وقف أمل في رؤيته الاجتماعية في دائرة الفقراء و المحرومين. « حتى ذكر يوما أن تاريخ الأرصفة هو تاريخه الشخصي»[2] ، و قد تجلت هذه الرؤية من خلال ديوانه العهد الآتي الذي يقول عنه، « المعنى الذي قصدته حقيقة هو إذا كان الرب يقيم عهدا مع قبيلة يورثها الأرض كما جاء في العهد القديم، و يقيم عهدا جديدا لغفران الخطيئة البشرية، فإن العهد الآتي لا بدّ أن يكون عهد الفقراء مع الثورة ».[3] و من هنا كانت تسميته بالعهد الآتي،و لذلك كان من البديهي جدا أن تكون أغلب قصائد هذا الديوان ذات أبعاد إنسانية و اجتماعية.

ففي قصيدة " سفر الخروج " يحرض الشاعر الشعب على الخروج ضد حكم السادات.
أيها الواقفون على حافة المذبحة
أشهروا الأسلحة !
سقط الموت ، و انفرط القلب كالمسبحة
و الدم انساب فوق الوشاح
المنازل أضرحة
و الزنازن أضرحة [4]

1- أمل دنقل الأعمال الكاملة ، ص 167 .
2- عبلة الرويني " الجنوبي " ، ص 57 .
3- أحمد الدوسري أمل دنقل شاعر الخطوط على النار ، ص 80.
4 - أمل دنقل ،"الأعمال الكاملة" ، ص 289 .

ففي هذا المقطع يعكس لنا الشاعر« الواقع المرير الذي كانت تحياه مصر والأمة العربية في فترة السبعين»[1]، و يشير إلى حادثة خروج بني إسرائيل التي وردت في التوراة، فالخروج في هذه القصيدة ليس خروج بني إسرائيل، و إنّما هو خروج من أجل الثورة التي صارت مطلبا ملحا بالنسبة لأبناء المجتمع المصري.

كما استعار أمل أيّضا حادثة ذبيحة الفصح من العهد القديم التي ترمز عندهم إلى فداء المسيح، غير أنه يعهد إلى تغيير دلالة الرمز لتصبح الذبيحة هي المواطن المصري بديلا عن شاة الفصح، « و يصير دم الذبيحة الذي يرش على عتبات بيوت بني إسرائيل هو دم الشهيد المصري ». [2]

و تتّصل الرؤية الكونية و الموقف الاجتماعي لأمل دنقل بالموقف الأخلاقي اتصالا وثيقا، ففي قصيدة سفر التكوين يرسم لنا الشاعر الصراع الأبدي بين ما هو كائن و ما ينبغي أن يكون في رؤيتين متعاكستين للواقع الإنساني تمثل الانفصام الحقيقي الذي يعيشه الإنسان على المستوى العقلي و الاجتماعي.

" قلت: فليكن العقل في الأرض تصغي إلى صوته

المتّزن

قلت: هل بيني الطير أعشاشه في فم الأفعوان،

هل الدود يسكن في لهب النار، و البوم هل

يضع الكل في هدب عينيه ، هل يبذر الملح.

من يرتجي القمح حين يدور الزمن.

و رأيت ابن آدم و هو يجنّ، فيقتلع الشجر المتطاول،

يبصق في البئر، يلقي على صفحة النهر بالزيت،

يسكن في البيت ، ثم يخبئ في أسفل الباب.

نبله الموت ، يؤوي العقارب في دفئ أضلاعه

و يورث أنبائه دينه .... و اسمه ..... و قميص الفتن [3].

1- منير فوزي "صورة الدم في شعر أمل دنقل مصادرها ، قضاياها ،ملامحها الفنية "، دار المعارف ، ط1 1998، ص 31 .

2- مصدر سابق ، ص 34 .

3- أمل دنقل شاعر الأعمال الكاملة ، ص 313 .

و نلحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر قد ارتكز على حقائق كونية و مدركة لا يمكن أن تتناقض في ذاتها لأنّها تقع ضمن فكرة النظام ،« فالطير لا يبني أعشاشه في فم الأفعوان والدود لا يسكن في لهب النار،« فعندما ينفصل عقل الإنسان و ينسلخ عن بعده الكوني يحدث التناقض بين ما هو كائن و ما هو ينبغي أن يكون ، ويتحول العقل من طاقة كونية قادرة على بناء عالم من الخير و العدل إلى قوة مجردة من كل شرعية أخلاقية» [1] ،و هذا الانفصام في الواقع الإنساني هو الذي "يعمق أزمة العقل فيناضل هذا الأخير محاولا مد الجسر بينه و بين الواقع، فيتدخل الاستبداد كطرف من هذا الصراع الذي يحرص على تثبيث الواقع الإنساني، فينفي العقل و يسحب عنه الشرعية، و يدرجه في عداد الذين يكرهون الوطن" [2]، فتعيش الذات مخيبتها الكونية عبر عزلتها و اعتزالها عن مجتمعها

أصبح العقل مغتربا يتسول، يقذفه صبية

بالحجارة، يوقفه الجند عند الحدود، و تسحب

منه الحكومات جنسية الوطنية ... و تدرجه في

قوائم من يكرهون الوطن.

قلت: فليكن العقل في الأرض و لكنه ام يكن

سقط العقل في دورة النفي و السجن ... حتى يجن[3]

.....

و رؤى الرب ذلك غير حسن

وقد استطاع الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يكشف مشهد الحياة الإنسانية و همومها و تناقضاتها، فكأنه يقول « أُس البلاد في مجال العقل و التفكير هو أن يجتمع السيف و الرأي في يد واحدة، فإذا جلا لك صاحب الرأي حارسه و جلا عليك باطله زاعما أنه هو وحده الصواب المحض، و الصدق الصراح، فماذا أنت صانع إلا أن تقول له "نعم" و أنت صاغر [4] .

ومن هنا يتضح بأن أمل قد التصق بواقعه بقدر ما أمكنه ذلك، و وقف على أهم المشاكل الكبرى التي يعاني منها الإنسان المعاصر الذي سكنه الخوف و الإحباط الناتج عن عجزه عن أحداث تغيير في مجتمع غابت فيه الديمقراطية و العدل، و ساد فيه الفساد و الاستغلال.

1- علي مصطفى عشا " البعد الثوري في شعر أمل دنقل، العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد 36 ، العدد ح 2009، ص 599 .

2- المرجع السابق ص 599

3- أمل دنقل" الأعمال الكاملة" ، ص 279 ، 280 ، شعر العربي ، الاصحاح الثالث.

4- زكي نجيب محمود " تجديد الفكر العربي " ، ص 33 .

3- العامل الفكري:

لقد أدرك شعراء الرفض أهمية الدور الذي تلعبه الثقافة على الصعيد الاجتماعي و الوطني و القومي، ولذلك أعطوها اهتماما وعناية فائقة ،وجعلوها ضمن المشاكل المتنوعة التي تعاني منها المجتمعات العربية والتي أرجعوها إلي غياب العقل وافتقاد الحرية وقرض قوانين الحجر عل الأفكار و الرؤى الصادقة .

ولعل هذا ما دفع بهؤلاء الشعراء إلى محاولة كسر هذه القيود من أجل الخروج من أزمة فقد الحريات التي تعاني منها المجتمعات العربية، ولقد كان أمل يعي هذه الحقيقة في قوله :" وإذا كنا نمر الآن بأزمة ثقافية، فإنها أحد وجوه التدهور في المجتمع الذي نعيشه نحن سواء أكان هذا التدهور ثقافي أم اجتماعي"(1)

ومن هنا نلاحظ أن الشاعر، قد وقف على أحد أهم مظاهر التخلف التي عرفتها أمته، و لعل هذا السبب الرئيسي في جعله يتحول إلى شاعر محرض من دعاة الثورة و الرفض و التغيير، همه الأول و الأخير أن يبعث رسائل قومية إلى الفرد العربي غايتها إحياء التاريخ العربي و أمجاده و نبذ كل العوامل التي من شأنها المساس بحريته وكرامته .

ففي قصيدة من مذكرات المتنبي في مصر يكشف الشاعر من خلالها عن حقيقة بعض القوى الضعيفة المهزومة التي تحاول تغطية ضعفها أمام العدو بممارسة السلطة على رعاياها في الداخل، و إخفاقها في صنع أمجاد حقيقية بكفاحها و صمودها باختلاق أمجاد دعائية مزيفة على ألسنة شعرائها حيث يقول:

أبصر تلك الشفة المثقوبة

ووجهه المسود ، والرجولة المسلوبة.

يومئ يستنشدني أنشده عن سيفه الشجاع

وسيفه في غمده يأكله الصدأ

وعندما يسقط جفناه الثقيلان وينكفئ

أسير مثقل الخطى

في ردهات القصر

أبصر أهل مصر

ينتظرونه... ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع! (2)

1- اعتماد عبد العزيز، آخر حديث مع الشاعر مجلة الإبداع أكتوبر 1983 ص 116.

2- ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، ص 121

فالمتنبي في هذه القصيدة يمثل الفنان في كل عصر الذي" وجد نفسه يبحث عن ذاته التي تآكلت بفعل الركود و الجمود، وهي في سبيل بحثها عن اليقين في الثورة و الرفض "[1] تتجرع مرارة الألم والقهر ولكنها تأبى أن تستسلم له.

ويكثف الشاعر من صور الاغتيال الفكري التي سادت في أوساط المجتمع من خلال استحضار رموز تاريخية كانت تمثل فكرة العدالة و الرفض للواقع الاجتماعي الذي تعيشه و ما فيه من صور الظلم والاضطهاد،ففي قصيدة أوراق أبي نواس يستعير فيها أمل شخصية "الحسين" رمزا لشهداء هذه الأمة الذين وقفوا في وجه الاستبداد من أجل إعلاء كلمة الحق و الموت في سبيل ذلك حيث يقول:

كنتُ في كَرْبلاءْ
قال لي الشيخُ إن الحُسينْ
ماتَ من أجلِ جرعةِ ماءْ!
وتساءلتُ كيف السيوفُ استباحتْ بني الأكرمينْ
فأجابَ الذي بصَّرتْه الدماءْ:
إنه الذَّهبُ المتلألئ: في كلِّ عينْ[2].

فالشاعر يعقد مقارنة بينه و بين حال الحسين، فرغم ما يملكه من نسب و علم سقطت كلماته و مات من أجل جرعة ماء ،و قد وقف أمل في اختيار المكان فكان بمثابة شاهد أخرس على هذه الجريمة، وهذه المقارنة ما هي إلا محض تساؤل يطرحه الشاعر عن مدى جدوى كلماته في نصرة الحق و هو بذلك يصور لنا الصراع بين المثقف بكلمته الحرة و بين السلطة و أدواتها القمعية ،و تتصاعد حلقات هذه المآسي من خلال بنية القصيدة فتظهر شخصيته أبي نواس رمزا للهروب من هذا المشهد في قوله :

ماتَ من أجل جرعة ماءْ!
فاسقني يا غُلام.. صباحَ مساء
اسقِني يا غُلام..
علَّني بالمدام..
أتناسى الدّماءْ.[3]

1- على مصطفى عشا :" البعد الثوري في شعر أمل دنقل ص 604
2- أمل دنقل أعمال الكاملة ، ص 317.
3- المصدر السابق ، ص 265

و"يستعيد الشاعر مشهد الاغتيال ببعديه الزمني والمكاني" [1] علي لسان أبي نواس فيجعله شاهدا علي العصر الذي حدثت فيه هذه الجريمة وعلي أحداث عصرنا ،فشخصية أبي نواس مثلت أزمة المثقفين و أصحاب الكلمة الذين وقفوا حائرين بين القمع و تأنيب الضمير.

وبناء على ما سبق يظهر أن الشاعر أمل دنقل ليس عنده أدنى شك "بأن أزمة الثقافة لنا تحل إلا إذا توفرت الحرية و الديمقراطية و استطاع المواطن العربي أن يحقق حلمه الوطني ، آنذاك إذن يمكن لنا الحديث عن حياة فكرية متطورة تواكب متطلبات الحياة الاجتماعية و السياسية"[2] .

وفي الأخير نخلص إلى القول بأن الرفض عند الشاعر أمل دنقل توجه فكري و قناعة عقائدية و تفاعل مع معطيات الواقع المعاش قد مهدت لظهور ثورة معرفية لا ترضخ لعنصر الظلم و الفساد الذي ساد المجتمع العربي .

1-علي مصطفى عشا "البعد الثوري في شعر أمل دنقل" ص602

2-علي رحماني "الرفض والتجاوز في شعر أمل دنقل"مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، تحت إشراف. د صالح مفقودة، ص44.

الفصل الثاني

قراءة في قصيدة

لا تصالح

1- قراءة في أبيات القصيدة:

لقد شكّل البعد القومي مساحة كبيرة في موضوعات الشعر العربي الحديث،« و كان لظروف متعدّدة دور في إبراز هذا البعد عن غيره من الأبعاد الموضوعية الشعرية الأخرى»[1]، حيث شهد هذا العصر موجة من الانقلابات و الثورات و الحروب التي اجتاحت العام العربي فأضحت هذه القضايا و الأحداث موضوعات متأصلة لشعر إلى حد أن قد غيرت العطاء الشعري.

والمتأمل في هذا النوع من الموضوعات يلحظ أن معظم خواطر الشعراء قد اتجهت صوب القضية الفلسطينية التي كانت بمثابة ميلاد لنشأة هذا النوع من الشعر، و لا عجب أن تكون هذه القضية المنطلق لهذا المشهد القومي، خاصة بعد احتلال الكيان الصهيوني لفلسطين و تجرد إسرائيل من كل القيم الإنسانية بما كانت تمارسه من ظلم و اضطهاد و تعذيب للشعب الفلسطيني، ووقوف الدول العربية موقف الشاهد الأخرس من هذه الوقائع، و لم يجد الشاعر العربي الغيور على كرامة أمته إلا كلمته تعبيرا عن هذا الوضع المأساوي.

والشاعر أمل دنقل من جيل الثورة الهادر الذي استشعر مكامن هذا الخلل المتأني من أجواء تفتقر إلى الحرية، فرفضت نفسه الأبية بما تحمل من عزة و كبرياء أن تستكين لهذه الأوضاع.

ومن هنا يتضح أن موقف الشاعر كان متأصلا من واقع ملموس يتمثل في رفض سياسة التطبيع التي انتهجها السادات حيث دعا إلى سلام مزيف مع وزارة القدس في سبتمبر (1977) و صادق على اتفاقية كامب ديفيد التي أصبحت بمقتضاها إسرائيل دولة صديقة لمصر، و أمام هذه الظروف لم يستطع الشاعر إلاّ أن يدافع عن قلب أمّته الجريح »[2] « فكتب أمل قصيدته لا تصالح، و هي آخر أمل كي يتراجع السادات عن خطه الجديد الذي بدأه ».[3]

إذ يستنكر الشاعر أن تتحول دماء أبناء الأمة العربية لتي لم تجف بعد إلى ماء يهدر دون قيمة، لذا يستفتح قصيدته بوصايا كليب لأخيه الزير الذي ينهاه عن الصلح مع قتلته حيث يقول في الوصية الأولى:

لا تصالح !

.. و لو منحوك الذهب

1- محمد سليمان عيال سلطان، "الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية،" دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، عمان ، ط2 ، 2015 ،ص 23.

2- اعتماد عبد العزيز، آخر حديث مع الشاعر، ص 119.

3- أحمد الدوسري،" أمل دنقل شاعرالخطوط على النار" ، ص 604.

أترى حين أفقأ عينيك،
ثم أثبت جوهرتين مكانهما ..
هل ترى ..؟
ذكريات الطفولة – بين أخيك و بينك
حسكما – فجأة – بالرجولة ،
هذا الحياء الذي يكبت الشوق ... حيث تعانقه،
الصمت . مبتسمين – لتأنيب أمّكما ..
و كأنّكما
ما تزالان طفلين !
أن سيفان سيفك ...
صوتان صوتك
أنّك إن متّ:
للبيت رب
و للطفل أب
هل يصير دمى – بين عينيك – ماء.؟
أتنسى ردائي الملطخ ..
تلبس – فوق دمائي – ثيابا – مطرزة بالقصب؟
إنّها الحرب
قد تفقد القلب ..
لكن – خلفك عار العرب .
لا تصالح ...
و لا تتوخّ الهرب ! [1]

1- أمل دنقل ،"ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس"، ، ص 6 -7.

فالشاعر يرفض سياسة الصلح مع العدو الصهيوني مهما كانت الإغراءات المادية، و يؤكّد على أن القيم الإنسانية كالمشاعر و المبادئ أشياء غير قابلة للبيع، فالدماء العربية التي أهدرت لا يمكن مقايضتها أو استبدالها، محذّرا الأمة العربية من خيوط مؤامرة تحاك ضدها من طرف قوم اتّسموا بالخيانة و باعوا الوطن من أجل أغراض ذاتية خسيسة.

لقد استغلّ أمل شخصية كليب و جعل منه صوتا في إعلان رفضه للصلح، فالملك المغدور هو رمز للدم العربي المهدور الذي لا نرى سبيلا لعودته إلاّ بالدم، و بهذا « يصبح الزير سالم رمزا للقوى الحية في هذه الأمة و التي يقع على عاتقها تبعية مواصلة النضال لاستخلاص الحق و صيانة العرض و محو عار هزيمتي 48 ، 67 »[1] .

ويستمر الشاعر في ربط حلقات الرفض بعضها ببعض و يجعل الخلاص عن طريق التوحد مع الذات التاريخية، فكليب عندما كتب وصيته و خطها بدمه أسقط كل خيارات الصلح و التسامح وبقي خيار واحد هو القتال و التشبث بالحق العربي حتى النهاية، « فالدم لا يرويه سوى الدم والسلام هو درب الضعفاء و المتساقطين »[2]. حيث يقول:

لا تصالح على الدم .. حتى بدم !
لا تصالح ! و لو قيل رأس برأس
أكلّ الرؤوس سواء؟
أقلب الغريب كقلب أخيك؟
أعيناه عينا أخيك ؟
و هل تساوي يد .. سيفها كان لك
بيد سيفها أتكلك؟
سيقولون: جئناك كي تحقن الدم.
جئناك .كن يا أمير- الحكم
سيقولون
ها نحن أبناء عم
قل لهم إنّهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك
و اغرس السيف في جبهة الصحراء ..
إلى أن يجيب العدم.

1- نسيم مجلي ،"أمير شعراء الرفض أمل دنقل" ،هيئة الحرية المصرية للكتاب ،القاهرة ، 1994 ، ص 173 .
2- علي مصطفى عشا ،"البعد الثوري في شعر أمل دنقل" ، ص 36 .

إنّني كنت لك
فارسا
و أخا
و أبا
و ملك ! [1]

لقد صاغ لنا أمل في هذه الأبيات "نشيدا جماعيا باسم الرفض على التخلي عن الثّأر و الحرب، و عارض المساومة مع العدو بدماء من ماتوا، فإذا كان الصراع بين كليب و ابن عمّه جساس على شيء بسيط (ناقة البسوس)، فإذا الصراع بين العرب و إسرائيل أبناء العمومة هو صراع الأرض المسلوبة التي تضع صلة القرابة على حافة النسيان،و الشاعر من خلال هذه الفكرة أراد التأكيد على عدم المصالحة،و إعلان الحرب على العدو « إلى أن يتم تطهير كل الأرض العربية " [2] و الثأر لدماء الشهداء التي أهدرت.

و يواصل الشاعر سلسلة الصور المؤثرة التي تساهم في تعزيز موقفه الرافض، حيث يستحضر شخصية اليمامة و التي تمثل مأساة كل طفل عربي فقد أهله بعد أن غدر العدو بهم. و لذا فلن يكون الصلح خيارا عادلا بالنسبة لهم في قوله.

لا تصالح ..
و لو حرمتك الرقاد
صرخات الندامة.
و تذكّر ..
(إذا لأن قلبك للنسوة اللاّبسات السواد و لأطفالهنّ الذين
تخاصمهم الابتسامة)
إن بنت أخيك " اليمامة "
زهرة تتسربل في سنوات الصبا ..
بثياب الحداد ..
كنت إن عدت.

1- أمل دنقل، "أقوال جديدة عن حرب البسوس" ، ص 6 -7 .

2- مراد عبد الرحمن مبروك," ا لدم و ثنائية الدلالة", الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دط 1997 ، ص 287 .

تعدو علي درج القصر
تمسـ – – ك سـ ـــا قي عن ـــد
نزولي . . .
فأرفعها — و هي ضاحكة

فوق ظهر الجواد.
ها هي الآن ..صامتة
حرمتها يد الغدر:
من كلمات أبيها،
ارتداء الثياب الجديدة
من أن يكون لها — ذات يوم — أخ !
من أب يبتسم في عرسها . . .
و تعود إليه إذا الزوج أغضبها . . .
و إذا زارها .. . يتسابق أحفاده نحو أحضانه،
لينالوا الهدايا ..
و يلهوا بلحيته (و هو مستسلم)
و يشدّوا العمامة . .
لا تصالح !
فما ذنب تلك اليمامة
لترى العشّ محترقا ...فجأة
و هي تجلس فوق الرماد؟ ! [1]

لقد وفق الشاعر في استعمال شخصية اليمامة التي رفضت الدية في مقتل أبيها في الرواية التي تناقلتها السيرة الشعبية ليغلق أي مجال للصلح مع العدو قد تنبت عند سماعه لصراخ الأرامل، و يعزز موقفه حين يذكّره بأنّ هذه الصرخات لا تقارن بدموع من تسربلت بثياب الحداد في أوج الصبا.
و يرى أمل أن شروط الحكم النزيه الصادق هو الذي يضع شرف الأمة و أبناءها باعتباره قيمة عليا، و طبيعة هذا الحكم هي التي تجعل منه معيارا لتحديد الظروف التي يدور فيها الصلح حيث يقول:
لا تصالح
و لو توّجوك بتاج الإمارة.

1- أمل دنقل،" ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس" ، ص 8 – 9 .

كيف تخطوا على جثّة ابن أبيك ...؟
و كيف تصير المليك.
على أوجه البهجة المستعارة ؟
كيف تنظر في يد من صافحوك ...
فلا تبصر الدم ...
في كلّ كفّ؟
إن سهما أتاني من خلف
سوف يجيئك من ألف خلف..
فالدم – الآن – صار وساما و شارة
لا تصالح،
لو توّجوك بتاج الإمارة
إنّ عرشك: سيف
و سيفك : زيف
إذا لم تزن – بذؤابته – لحظات الشرف
و استطبت – الترف [1]

ففي هذه الأبيات يؤكد الشاعر على ضرورة رفض كل الإغراءات المادية التي يقدّمها العدو، و قد تجلى ذلك بشكل واضح في مطلع هذه الوصية، إذ يرفض أن يكون التاج ثمن جثة أخيه خاصة و أن اليد التي تطلب الصلح ملوثة بأثر دماء أخيك، « و هي يد لا تستحق أن تصافحها، و إن تجرأت و صافحتها فإنّك لن تبصر سوى دم عروبتك على أكفهم » [2] .

قد نجح الشاعر في توظيف هذه الصورة الحسية لإعلاء موقفه من هذا المشهد، و يعقب هذه الصورة سيل من التحذيرات من عواقب هذا الصلح ، فصلح الأمس لن يدوم طويلا و سهام الغدر في يد العدو على أهبة الاستعداد دوما، و مادام دم العربي رخيصا في أنظارهم حتى صار سهل الإراقة فلا مجال للمصالحة ، فالسلطة الحقيقية هي تحفظ شرف الأمة وماضيها، فهو بمثابة السيف الذي ينبغي أن تحافظ عليه ليدوم و يستمر و إلا فإنه سيتحول إلى زيف وخداع و سلطة غير مستحقةّ إذا ما هي تجاهلت الماضي في سبيل رغبتها في تحقيق الترف .

1- أمل دنقل ،"أقوال جديدة عن حرب البسوس"، ص 9 – 10

2- إسلام خالد سلمان أبو غفرة , "السرد في شعر أمل د نقل"، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة،تحت إشراف د.فوزي إبراهيم الحاج ،1440-2018 ، ص 55

ويقدم أمل حجج دامغة لأولئك الخونة الذين حملوا شعارات السلام المزيف، بعد لأن تخاذلوا عن الدفاع عن حقوق أبناء عروبتهم، و عن كرامتهم حيث يقول:

لا تصالح
و لو قال من مال عند الصدام
"ما بنا طاقة لامتشاق الحسام .."
عند ما يملأ الحق قلبك :

تندلع النار إن تتنفّس
و لسان الخيانة يخرس

لا تصالح
و لو قيل ما قيل من كلمات السلام
كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنَّس ؟
كيف تنظر في عيني امرأةٍ ..
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟
كيف ترجو غدا ..... لوليدٍ ينام
كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام.
و هو يكبر – بين يديك – لقلب منكسر ؟
لا تصالح
و لا تقتسم مع من قتلوك الطعام.
و ارو قلبك بالدم..
و ارو التراب المقدس ..
و ارو أسلافك الراقدين ..
إلى أن ترد عليك العظام ! [1]

فهو يستذكرهم بأن حق دماء الشهداء لم يأخذ بعد، و لا سبيل لذلك إلا يرفض هذا الصلح، و خوض غمار الحرب إلى غاية استرداد الحق كاملا، و هو بذلك أراد أن يقيم الحجة عليهم ليخرس كل صوت يناشد بذلك السلام المزيف.

1-أمل دنقل "'أقوال جديدة عن حرب البسوس' "'ص 11 – 12

"فالسلام لا يكون سلاما إلا إذا ضمن المحارب حريته و أمن و أمان عائلته و أحبائه و امتلك قرارة نفسه و انتصر لدماء من قتل غدرا، و ما دون ذلك سلام زائف"[1]، كما أن رفض هذا الصلح بمثابة حياة للأجيال القادمة، و بعث لمن ماتوا في حضرة الغياب

و يواصل الشاعر استحضار شخصيات حرب البسوس لتأكيد موقفه، فقد جعل من "الجليلة" * رمزا للمرأة التي ترملت أثناء حرب العدوان، فقعد السلام مع العدو ما هو إلا تفريط في حقوق تلك النسوة.

لا تصالح
و لو ناشدتك القبيلة
باسم حزن "الجليلة"
أن تسوق الدماء .
و تبدي – لمن قصدوك – القبول
سيقولون :
ها أنت تطلب ثأرا يطول
فخذ – الآن – ما تستطيع
قليلا من الحق ..
في هذه السنوات القليلة
أنه ليس ثأرك وحدك ،
لكنه ثأر جيل فجيل وغدا ...
سوف يولد من يلبس الدرع كاملة،
يوقد النار شاملةً،
يطلب الثأر
يستولد الحقَّ،
من أضلع المستحيل
لا تصالح
و لو قيلَ عن التَّصالح حيلة
إنه الثأر
تَبهتُ شعلتُه في الضلوعِ
إذا ما توالت عليها الفصول
ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)
فوق الجباة الذليلة ! [2]

1- الرمزية في الشعر الحر قصيدة لا تصالح أنموذجا " مقال نشر علي أنترنت في مدونة التعليمية وجهة نظر أطلع عليه يوم 2020/5/23

*- الجليلة بنت مرة : شاعرة و ابنة عم كليب و زوجته التي أنجبت له سبعة بنات و ولدا بعد موته (الهجرس) البطل المنتقم لأبيه بعد مقتل زوجها على يد أخيها جساس خرجت من تغلب و تنقلت مع بني شيبان قومها مدة خروجهم حتى ماتت.

2- أمل دنقل ،"أقوال جديدة عن حرب البسوس ",ص 12 - 13-14

ويستدرك الشاعر على لسان كليب محاولات أولئك الخونة لقبول الصلح، لكنه يذكرهم أن الأمة العربية لها أصوات تنطق بالحرية و الكبرياء لتكافح عن الحق قولا أو فعلا، و إن ماتوا أو استشهدوا فإن هنالك رجال أكفاء من أبناءها سينهضون لأداء هذه المهمة النبيلة، فالصلح ما هو إلا خدعة من خدع الحرب، أما الثأر فهو شعلة إن مر عليها الوقت ستبهت و تنطفئ و لن يبقى غير وصمة العار على جباه هؤلاء المتخاذلين.

ويضيف الشاعر بعد تراثيا جديدا للقصيدة من خلال استلهام فتح عمورية " [1] و ذلك عندما خرج المعتصم بالله إلى فتحها رغم محاولات الكهان له بالتراجع عن هذا القرار بحجة أن الوقت ليس مناسبا لذلكّ، و مع ذلك كله لم يرد عليهم و كان النصر من نصيبه، و ما هي إلا محاولة من الشاعر لتعظيم شأن الرفض و تضيق الخناق على حلول الصلح .

لا تصالح و لو حذرتْك النجوم
و رمى لك كهانُها بالنبأ
كنتُ أغفر لو أنني متُ
ما بين خيط الصواب و خيط الخطأ

لم أكن غازيا،
لم أكن أتسلل قرب مضاربِهم
أو أحوم وراء التخوم
لم أمد يدا لثمار الكروم
أرض بستانهم لم أطأ
لم يصح قاتلي بي " انتبه"
كان يمشي معي
ثم صا فحني
ثم سار قليلا
و لكنه في الغصون اختبأ !
فجأة:
ثقبتني قشعريرةٌ بين ضلعين
و اهتز قلبي –كفقاعةٍ – و انفثأ

1- إسلام خالد أبوغفرة ،"السرد في شعر أمل دنقل" ،ص 55

و تحاملتُ، حتى احتملتُ على ساعدي

فرأيتُ : ابن عمي الزنيم
وقفا يتشفى بوجهٍ لئيم
لم يكن في يدي حربةٌ
أو سلاح قديم،
لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظمأ [1]

و يطرح أمل مبررات واقعية تجعل المصالحة شوطا من أشواط الغدر و الخيانة، خاصة بعد الكشف عن الوجه الحقيقي للعدو، و من هذا المنطلق يأبى الشاعر الرجوع عن استرداد الحق، فهو يرى بأن الغفران كان أول خيارات الصلح لو أنّ الغدر كان بين خيط الصواب و خيط الخطأ ،و يؤكد الشاعر على أن هذه الجراح لا يمكن أن تداوي أو تشفى سوى من الثأر ممن داس على جثة أخيه دون شفقة أو رحمة و كأن مدار الكون قد تحول و لن يعود إلى مداره الطبيعي إلاّ بالثأر حيث يقول.

لا تصالح،
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة
و النجوم ... لميقاتها.
و الطيور ... لأصواتها.
و الرّمال ... لذرتها و القتيل لطفلته الناظرة
كلّ شيء تحطّم في لحظة عابرة
الصبا – بهجة الأ هـ–ل – صـ – وتُ الحصـ –ان – التعـ – رف
بالضيف – همهمة القلب حين يرى برعما في الحديقة يذوي
– الصلاة لكي ينزل المطر الموسمي – مراوغة القلب حين
يرى طائر الموت.
و هو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة
كلّ شيء تحطّم في نزوةٍ فاجرة
و الذي اغتالني: ليس ربا
ليقتلني بمشيئته
ليس أنبل مني .. ليقتلني بسكّينته،

1- أمل دنقل," ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس", ص 14 -15 . ص 55

ليس أمهر منّي ، ليقتلني باستدارته الماكرة
لا تصالح،
فما الصلح إلاّ معاهدة بين ندين ...

(في شرف القلب)
لا تنتفص
و الذي اغتالني محض لص
سرق الأرض من بين عيني
و الصمت يطل – ق ض –حكته
الساخرة ! [1].

إنّ الذي نفّذ الاغتيال في حق الذي مات ليس ربّا حتى يقرّر سلبه حق الحياة، و ليس أنبل و لا أمهر من المقتول ، بل هو مجرد لصّ يسعى إلى سرقة الأرض عنوة و معاهدة الصلح لا تكون إلاّ ندا لند على أساس الشرف، فمن يقتل غدرا ليسرق جهرا لا يمكن أن يكون له شرف.

و يحذّر الشاعر من قبول دعوات الصلح ، و يرى بأنّ "من يبدي استعداده لذلك فهم من بطانة المتآمر الأول على دماء الشهداء الذين باعوا الوطن مقابل ولائم السلطات، و نسوا القيم العربية التي لا طالما تميّزوا بها من عزّة و شرف و كرامة و عزم."[2]

لا تصالح،
و لو وقفت ضد سيفك كلُّ الشيوخ.
و الرجالُ التي ملأتها الشروخ،
هؤلاء الذين يحبون طعم الثَّريد،
و امتطاء العبيد،
هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم،
و سيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشّموخ
لا تصالح
فليس سوى أن تريد
أنت فارس هذا الزمان الوحيد.
و سواك .. المسوخ ! [3]

1- مصدر السابق ص 14 – 15.

2- الرمزية في الشعر الحر قصيدة لا تصالح أنموذجا مقال نشر علي موقع "وجهة نظر" أطلع عليه يوم 5/26 /202

3- أمل دنقل" ديوان اقوال جديدة عن حرب البسوس" ص 15 – 16.

في هذا المقطع "نلاحظ نوعا ما من الانزياح بين صوت الملك المغدور و صوت الشاعر المضمر رفضا لما يتوقعه من الزير سالم المعادل الموضوعي لأنور السادات, فالشاعر يعلم أن بطل السيرة الشعبية لم يهادن بل ظل يقاتل إلاّ أن استردّ حق أخيه، و لذلك وظيفة انزياحية، فأمل أراد توصيل رسالة مفادها بأن من يحكم مصر لا يجب عليه أن يقبل بأقل من عودة حياة الشرف كاملة غير منقوصة."(1)

و يختم الشاعر قصيدته بتأكيد تمسكه بهذا الخيار، و الرفض القاطع لأي نوع من أنواع الصلح المهين مع العدو حيث يقول:

لا تصالح

لا تصالح(2)

و جاء هذا الفعل في ختام هذه القصيدة بمثابة تأكيد لكل ما قاله سابقا.

لقد استطاع أمل من خلال قصيدته " لا تصالح " دمج المعطيات التاريخية و إسقاطها على الأحداث السياسية التي كانت تعيشها مصر و الأمة العربية, و نجح في التعبير عن وقع هزيمة 67 و ما خلفته من غصة في قلب كل عربي و هم يرون حلم استعادة التراب العربي قد تبخر من أيديهم، يليها اتفاقية خلفت عارا لن تنساه الأمّة طول الحياة، و قد تحولت عبارة " لا تصالح " التي خطها كليب بدمه إلى شعارات تناقلتها ألسنة آلاف المصريين و الفلسطينيين و العرب تعبيرا عن موقفهم الرافض من معاهدة السلام التي دعا إليها الرئيس أنور السادات مع الكيان الصهيوني.

2- اللغة الشعرية:

تعد لغة الشعر أعظم عنصر في بناء القصيدة، فمن خلالها تتجلّى « عبقرية الأداء الشعري التي تتبع من قدرة الشاعر على هتك أستار اللغة وتفتيق أكمامها ليستخرج ما بها من طاقات غنية في خلاياها »(3). وإذا كانت اللغة من أهم عناصر الشعر، فإنه يتطلب من الشاعر أن يسلك فيها مسلكا خاصا ليستطيع من خلالها تأدية المعنى بطريقة تخدم الموضوع، و في هذا السياق أبدع الإمام المرزوقي في حديثه عن اللغة في الشعر حيث قال: « و عيار اللفظ الطبع و الرواية و الاستعمال فما سلم مما يهجنه عند العرض فهو المختار المستقيم، و هذا في مفرداته و جعله مرعى لأنّ اللفظ يستكرم بانفرادها فإنّ ضمنها ما لا يوافقها عادت الجملة هجينا»(4).

1-خضر محجز"لا تصالح القصيدة والتحليل"مقال إلكتروني نشر علي الحوار المتمدن موبايل اطلع عليه يوم 52020/27

2- المصدر نفسه، ص 17

3- عدنان حسن قاسم," لغة الشعر العربي أصالة التراث في مواجهة التفجين" ، الكتاب والتوزيع و الإعلان و المطابع ، ط1 1981، ص 7.

4- أبو علي أحمد بن محمد بن حسن المرزوقي " شرح ديوان الحماسة " تح أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، دار جيل بيروت ، 1991 ، ص 09.

وبهذا التعريف يحدد المرزوقي لغة الشعر و يعرفها بأنّها لغة مختارة تستوجب الدقة في انتقاء المفردات و تراكيب الجمل بحيث تكون رائعة السبل فائقة الديباجة سليمة نقية، و قد تختلف اللغة عند الشاعر من عصر إلى آخر باختلاف البيئات و العصور و المواهب و الثقافات، لأن تطورها يكون مقترنا بتطور الحياة، فمن خلالها يستطيع الشاعر أن يسجل سمات الوجه الحضاري الذي تحياه الأمة و أن يعكس هموم الناس و مشاكلهم.

وقد استطاعت لغة الشعر المعاصر أن تكون لغة متميزة بحق، خاصة بعد التغيير الجذري الذي طرأ في الشكل و المضمون، و تخلص الشعر الحديث من رتابة تلك القيود الكلاسيكية التي كانت مفروضة عليه في وقت معيّن، و نتيجة لذلك حاول الشاعر الرافض أن يعتصر كل إمكانياته ويستثمر عطاءها ليجعل من لغته الشعرية تخرج من حدود مناطقها التعبيرية لتحيط بكل أبعاد تجربته الشعرية.

وها هو شاعرنا الرافض يقدم لنا من خلال قصيدته لغة متميزة تجمع بين عنصر الحداثة و التراث، حاول من خلالها أن يسقط المفاهيم القديمة على مجريات الأحداث السياسية التي تمثلت في رفض التطبيع مع الكيان الصهيوني.

إنّ أول ما يتبادر إلى الذهن عند قراءتنا لهذه القصيدة هو رمزية العنوان "لا تصالح" الذي يحمل في طياته أسلوب نفي قاطع عن قبول هذا الصلح، و لعل السؤال الذي يطرح نفسه لماذا اختار الشاعر هذا العنوان بالذات؟

إن رمزية هذا العنوان تكمل في كونه الكلمة الأولى التي استهل بها الملك المغدور وصاياه العشر لأخيه و التي يقول فيها:

و اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ يَا مُهَلْهِلْ وَصَايَا عَشْرٍ اِفْهَمْ بِالأَكِيدْ
فَأَوَلُ شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ وَ لَوْ أَعْطُوكَ زِينَاتِ النُّهُودْ
وَ ثَانِي شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ وَ لَوْ أَعْطُوكَ مَالاً مَعَ عُقُودْ
وَ ثَالِثُ شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ وَ لَوْ أَعْطُوكَ نُوقًا مَعَ كَا عُودْ
وَ رَابِعُ شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ وَ احْفَظْ زِمَامِي مَعَ عُهُودْ
وَ خَامِسُ شَرْطٍ أَخَوي لاَ تُصَالِحْ وَ قَدْ زَادَتْ نِيرَانِي وَقُودْ
وَ سَادِسُ شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ فَإِنْ صَالَحْتَ لَسْتَ أَخِي أَكِيدْ
وَ سَابُعُ شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ وَ اسْفِكْ دَمَهُمْ فِي وَسَطِ بَيْدٍ
وَ ثَامِنُ شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ وَ احْصُدْ جَمْعَهُمْ مِثْلَ الحَصِيدْ

وَ تَاسِعُ شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ فَإِنَنِي اليَوْمَ فِي أَلَمٍ شَدِيدْ

وَ عَاشِرُ شَرْطٍ أَخَوِي لاَ تُصَالِحْ وَ إِلاَّ شَكَوْتُكَ لِلْمَجِيدْ [1].

وبقراءة لما جاء في أبيات هذه القصيدة نلاحظ أن كليب لم يغفر لحظة موته غدرا على يد ابن عمه جسّاس الخائن، لذلك عمد إلى تكرار هذا الفعل تأكيدا على أخيه بعدم قبول الصلح مع قتلته،و قد أعطى الشاعر معنى آخر لعنوان القصيدة، فكليب يمثل الدم العربي المهدور الذي يصرخ بـ "لا تصالح"، طلبا في استرداد الحق كاملا، و إذا كان بطل المسيرة الشعبية الزير سالم قد لبى نداء أخيه و اعتزل حياة اللهو و المجون في سبيل ذلك، فإنه يمثل في قصيدة أمل البطل الذي عليه أن يحارب من أجل دم إخوته الذي أهدر و أن يحذر من دعوات المصالحة لأناس اتّسموا بالخيانة و الغدر.

و "يرسم كليب في القصيدة العديد من الصور المؤثرة، أنه يكتب وصيته و يموت، و لكن من يضمن تنفيذ هذه الوصية إلاّ تحويل هذه المشاعر إلى نار مستعرة"[2]، ففي الوصية الأولى يعطي لنا الشاعر أشبه ما يكون بالمعادلة الرياضية طرفها الأول يقول:

أترى حين أفقا عينيك

ثم أثبت جوهرتين مكانهما

و طرفها الثاني يقول

هل ترى؟[3]

إنه لا ينكر النتيجة المترتبة على هذه الإجابة و لكن على الرغم من ذلك فإننا نستطيع استنتاجها، تلك النتيجة التي ستكون بالنفي قطعا لأن الجوهرتين اللتان ستثبتان مكان العين لن تعطينا الرؤية على الرغم من قيمتها المادية الكبيرة، فالشاعر هنا « لا يذكر لنا مباشرة القضية التي يريد التعبير عنها و إنما يستحضر بدائل يضمنها لخطابه من مفردات القضية الأساسية »[4] فالعين هي رمز الحق و الإرادة، والجوهرتين هما رمز المال و الذهب، و قد أعطى لنا الشاعر هنا نوعا من التضاد و المفارقة التي تستقطر السخرية من هذه التقابلات المفاجئة ليؤكد علي أن شرف و كرامة الأمة العربية و دماء أبناءها التي أهدرت في الحرب لا يمكن أن تعوضها الإغراءات المادية التي يقدمها العدو

1- إسلام خالد سلمان أبوغفرة،" السرد في شعر أمل د نقل"، رسالة ماجستير ، جامعة غزة تحت إشراف د. فوزي إبراهيم الحاج ،1440-2018 ،ص 52 .

2- خضر محجز لا تصالح القصيدة والتحليل مثال نشر علي الحوار المتمدن موبايل أطلع عليه 2020/5/27

3- أمل دنقل، "أقوال جديدة عن حرب البسوس،" ص 5 .

4- محمد سليمان عيال سلمان،" الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية "، ص 29 .

ولأنه يدرك بأن الطرف الآخر لن يستجيب له، فإنه يلجأ إلى الرجوع إلى الوراء (الفلاش باك)، حيث يعيد الشاعر إنتاج جملة من المشاهد المستقاة من أيام الطفولة التي تعكس رابطة الإخوة المتينة.

ذكريات الطفولة بين أخيك و بينك
حسكما فجأة بالرجولة،
هذا الحياء الذي يكبت الشوق ..حين تعانقه،
الصمت – مبتسمين – لتأنيب أمكما،
و كأنكما
ما تزالان طفلين
تلك الطمأنينة الأبدية بينكما:
أن سيفان سيفك ...
صوتان صوتك.[1]

والملاحظ أن شاعرنا عمد إلى توظيف هذه الصور من أجل تحريك عواطف مخاطبة و جعله يحيد عن موقفه، و ليؤكد في نفس الوقت أن المقابل المادي لا يمكن له أن يكون بديلا عن رابطة الأخوة و الدم.

ويستغل الشاعر التناص في هذا المقطع من أجل ربط هذه الصور الجزئية ببعضها البعض من أجل تشكيل الصورة الكلية التي يريد من خلالها إظهار موقفه

أنك إن متّ
للبيت رب
و للطفل أب [2]

لقد استعار أمل قول عبد المطلب لأبرهة الأشرم أنا رب الإبل و للبيت رب يحميه، فإذا كان عبد المطلب قد صرخ قائلا بأن قافلة الإبل لها قائد يحميها، و هو عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه و سلم،فإن للكعبة الشريفة قائد يحميها فهو الله عز و جل [3] ، و قد انزاح هذا القول عن معناه الأصلي ليدل على استهجانه من الحكومة المصرية التي بدل أن تدافع عن حقوق أبناء شعبها وتعيد الاعتبار لكرامة الأمّة العربية التي جرحت أثناء حرب العدوان.

1 – أمل دنقل،" أقوال جديدة عن حرب البسوس"، ص 6.

2 – المصدر نفسه، ص 5 .

3 – لعروسي سعاد ، لعريبك نبيلة " التناص في شعر أمل دنقل قصيدة لا تصالح أنموذجا" مقدمة لنيل شهادة الليسانس، المركز الجامعي العقيد محند ألحاج، البويرة 2011-2012، ص 48 .

ولأن الشاعر يستنكر هذا الفعل المشين الصادر من السلطات يلجأ إلى استعمال الاستفهام و الأفعال المضارعة لتأكيد موقفه الرافض في قوله:

هل يصير دمي بين عينيك ماء؟
أتنسى ردائي الملطخ بالدماء
أتلبس فوق دمائي ثيابا مطرزة بالقصب ! .[1]

و يلجأ في نهاية هذا المقطع إلى شيء من المحاجة لينفي هذه الفكرة من ذهن الوريث و صاحب الحق.

إنها الحرب
قد تثقل القلب
لكن خلفك عار العرب
لا تصالح و لا تتوخ الهرب. [2]

فهو يعترف بأن الحرب تثقل القلب لما تحمله من دمار، لكنه في نفس الوقت يؤكد على ضرورتها، لأن قبول هذا الصلح لن يخلف سوى العار للأمة العربية ،ثم يختم هذا المقطع بتحذير حاد مما يترتب عن هذا الصلح.

و يستغل أمل عنصر التكرار في مطلع الوصية الثانية ليؤكد من خلاله رفضه القاطع لهذا الصلح في قبوله

لا تصالح على الدم .. حتى بدم !
لا تصالح ! و لو قيل رأس برأس
أكل الرؤوس سواء؟
أقلب الغريب كقلب أخيك؟
أعيناه عينا أخيك؟.[3]

حيث يكرر الفعل لا تصالح مرتين خلافا للوصية الأولى التي تكرر فيها مرة واحدة، وذلك قد سمح بظهور صوتان يردّدان هذا الفعل في هذا المقطع صوت الأمير المغدور و صوت الشاعر الرافض لهذا الصلح، إلى جانب تكرار ألفاظ أخرى مثل الدم، و الرأس، أخيك، كما نلاحظ في هذا المقطع.

1- أمل دنقل" أقوال جديدة عن حرب البسوس"، ص 7.
2- المصدر نفسه، ص 7 .
3- المصدر نفسه، ص 7 .

لقد تصرف الشاعر ببراعة في هذه العناصر المكررة، حيث شكل منها في كل مرة شيئا جديدا، وهو بذلك خلق لونا من التنوع من خلال هذه الوحدة، و إن كانت التشكيلات كما رأينا سابقا تدور حول محور شعوري واحد، فنجح في تأكيد الفكرة الواحدة من خلال تكرارها بطرق مختلفة ضمن رابط واحد هو "لا تصالح".

و يستعين أمل مرة أخرى بالسؤال الذي يحمل دلالة الاستنكار حيث وردت في المقطع الثاني من الوصية خمس مرات في قوله.

أكلّ الرؤوس سواء؟

اقلب الغريب كقلب أخيك؟ !

أعيناه عينا أخيك؟

و هل تساوي يد ... سيفها كان لك [1].

والشاعر يدرك سلفا الإجابة التي تحملها هذه التساؤلات، و هو بذلك أراد أن يلقي بضلال من الإدانة والتوبيخ لمن يجلس على طاولة المفاوضات مع عدو غادر،« بحجة احتساب الدماء، لأن الطرفين قد خسرا بعض أبنائهما »[2] إذ يستنكر الشاعر أن تتساوى دماء أبناء وطنه و الأمة العربية بدماء أولئك المعتدين خاصة أن العدو قد مارس همجية و سفك الدماء.

لقد حاول أمل إيقاظ الحمية العربية عن طريق الثأر و ذلك بتوظيف هذا الأسلوب، فإذا كان « كليب يرى بأن عواقب هذا الصلح لن يقتصر على شخص و قبيلة فقط »،[3] فإن أمل يرى بأن هذه المعاهدة ستحدد مصير شعب في عيون بقية الشعوب،و إذا كان الشاعر في وصيته الأولى قد لجأ إلى استعمال ذكريات الطفولة عن طريق التركيز على الماضي كنوع من التأثير في مخاطبه، فإنه في هذه الوصية يستعمل الصيغة المستقبلية عن طريق تكرار الفعل " سيقولون " في قوله

سيقولون:

جئناك كي تحقن الدم ..

جئناك كن يا أمير – الحكم.

سيقولون:

ها نحن أبناء عم . [4]

1- المصدر السابق ، ص 7 .

2- محمد سليمان عيال سلمان‘" الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية "، ص 126 .

3- إسلام خالد أبو غفرة‘"السرد في شعر أمل دنقل"‘رسالة ماجستير‘ص53

4- أمل دنقل،"ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس"،ص6-3- إسلام خالد سلطان أبو غفرة‘"السرد في شعر أمل دنقل"‘رسالة ماجستير ، ص 53 ، ص 7 .

وقد أورد الشاعر هذه الصيغة للدلالة على علمه بكل أساليب و حيل العدو و خباياه، و ليؤكد للطرف الآخر أن هذه محض حيل و أساليب مكشوفة، و يبرز فعلان في صيغة الأمر غير الفعل لا تصالح هما أخرس ، و قل لهم في قوله

قل لهم أنهم لم يراعوا العمومة فيهن هلك

و اغرس السيف في جبهة الصحراء...[1]

و يظهر في هذين البيتين إصرار الشاعر على مواصلة الحرب، و ذلك عن طريق توظيف فواعل الحرب النفسية و لوازمها كالسيف الذي ورد في بداية هذا المقطع الثاني من هذه الوصية.

و يستعين أمل بأسلوب القصر من أجل إعلاء قيمة الرفض في قوله.

لا تصالح

و لو حرمتك الرقاد. [2]

و قد جاء توظيف هذا الأسلوب ليجعل من الثأر القيمة العظمى قبل كل شيء، وليؤكد من خلالها على ضرورة رفض الصلح و مواصلة الحرب.

ويستعمل الشاعر فعل الأمر " تذكر " ليذكر الطرف الآخر بآثار التي خلفتها الحرب في المجتمع العربي كنوع من التأثير قوله:

و تذكّر ..

(إذا لأنّ قلبك للنسوة اللاّبسات السواد و لأطفالهن الذين

تخاصمهم الابتسامة).

أن بنت أخيك " اليمامة "

زهرة تتسربل في سنوات الصبا.

بثياب الحداد ....

كنت ، إن عدت:

تعدو على درج القصر،

تمسـ – ك سـ –اقي عـ –ند

نزولي ...

فأرفعها —وهي ضاحكة

فوق ظهر الجواد

1- أمل دنقل" أقوال جديدة عن حرب البسوس"، ص 8 .

2- المصدر نفسه، ص 8 .

ما هي الآن صامتة

حرمتها يد الغدر:

من كلمات أيدها ،

ارتداء الثياب الجديدة

من يكون لها – ذات يوم – أخ !

من أب يبتسم في عرسها ...

و تهود إليه اذا الزوج أغميها ...

و إذا زارها يتسابق أحفاده نحدو أحضانه،

لينالوا الهدايا

و يشدو العمامة

لا تصالح

فما ذنب تلك اليمامة

لترى العش محترقا .. فجأة

و هي تجلس فوق الرماد ؟ ! [1]

والملاحظ أن الشاعر قد أكثر من استخدام الحوار الحسية لتعبير عن هذه الفكرة، ففي البداية يعرض لنا صورة النسوة اللابسات السواد و لأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامة ، ليجعل منهن رمزا ، للمرأة التي ترملت أثناء حرب العدوان، أما صورة الأطفال فقد جاءت حاملة لدلالة الحزن العميق التي شعروا بها من جراء هذه الحرب وليؤكد على هذه الفكرة يعرض لنا تفاصيل من معاناة اليمامة ، ليرمز إلى مأساة الطفل العربي الذي فقد أهله على يد غادر، و إذا كانت اليمامة قد رفضت الدية في مقتل أبيها كما تناقلته السيرة الشعبية، فإنها في القصيدة تمثل الطفل العربي الذي يرفض الصلح مع العدو الذي تسبب في جعل يتيما و محروما من حنان و عطف والدته .

1- المصدر السابق ص 9-10

و يعود الشاعر إلى استخدام صيغ السؤال في الوصية الرابعة حيث يقول :

كيف تخطوا على جثه ابن أبيك .....؟

و كيف تصير المليك ..

على أوجه البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر في يد من صافحوك

و فلا تبصر الدم في كل كفّ ؟ [1]

إن تكرار هذه التساؤلات تؤكد استحالة حدوث مثل هذا الأمر و بمثل هذه الطريقة ، إذا يستنكر الشاعر أن ينسى الأخ دم أخيه ، و يضع يده في يد عدو قد تلطخت كفاه بدم أخيه المقتول ، و هذه الأساليب ما هي إلا محض تعبير عن رفض الشاعر لدعوات ذلك السلام المزيف .

و يستغل الشاعر الغائب و يجعله حاضرا في الوصية الخامسة و قد دلت على ذلك الأفعال(قال،قيل) التي جاءت في هذه الأبيات التالية.

لا تصالح

و لو قال قال من مال عند الصدام

".. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام .."

لا تصالح

و لو قيلَ ما قيلَ من كلمات السلام . [2]

و جاء استعمال الغائب في هذا المقطع للدلالة على تلك الأعذار التي اختلقها أولئك الخونة الدين تخاذلوا عن القتال في سبيل الدفاع عن أخوتهم، وعن عروبتهم، وعن كرامتهم، و ليقطع أمل الطريق على هؤلاء الخونة، يلجأ إلى استعمال النصيحة عن طريق تكرار الفعل "لا تصالح"، فهو ينصح الطرف الآخر بعدم الإكثرات لشعارات السلام المزيف التي ينادي بها هؤلاء الخونة،

1- مصدر السابق ص 10

2- المصدر نفسه ص 11

و يعود الشاعر إلى استخدام صيغة التساؤل حيث تكررت خمس مرات في قوله.

كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنّس؟
كيف تنظر في عيني إمرأةٍ أنت لا تستطيع حمايتها
كيف تصبح فارسها في الغرام؟
كيف ترجو غدا لوليدٍ ينام ؟
كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام
و هو يكبر – بين يديك – بقلب منّكس ![1]

لقد جاءت صيغ هذه السؤال مبتدأه "بكيف" التي تفيد التعجب ، و هذا يدل على أن الشاعر يسعى إلى الوصول إلى الطريقة التي يفكر بها الطرف الأخر، و هو في ذلك يضعه في مواجهة عنيفة ، و تزداد حدة هذه المواجهة عندما يطعنه في رجولته، فتأتي كصفعة قوية لعله يفيق من غفوته و يعمل بنصيحته[2]، إنه بطريقة غير مباشرة يستنكر عليه أن يقوم بمثل هذه الأفعال خاصة فيما يتعارف عليه الرجل الشرقي من حمايته للضعفاء،إن الشاعر من خلال هذه الفكرة يؤكد لطرف الأخر على أهمية رفض هذا الصلح الذي سيكون بمثابة ضمان لاسترداد حقوق الأمة و رفعا لقيمته في عيون أبناء وطنه و الأمة العربية، و ليزيد الشاعر من تحريض الطرف الآخر على عدم قبول دعوات المصالحة التي ينادي بها العدو فيستعمل الأفعال الأمر (اغرس ، ارو) في قوله :

و اغرس السيف في جبهة الصحراء.
إلى أن يجيب العدم .
و ارو قلبك بالدم .
و ارو التراب المقدس
و ارو أسلافك الراقدين
إلى أن ترد عليك العظام ! [3]

لقد جاء توظيف هذه الأفعال في هذا المقطع ليؤكد الشاعر على ضرورة خوض غمار الحرب إلى غاية استرداد الحق كاملا، و الثأر لمن غدر بهم في حرب العدوان.

1-المصدر السابق ص 11 -12

2-أحمد فضل شبلول،" قراءة في قصيدة لا تصالح" ،أمل دنقل مقال نشرعلى الموقع الإلكتروني إسلام أون لاين اطلع عليه 2020/05/28

3-أمل دنقل ،" ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس "،ص12

أما المقطع السادس من الوصية فيستهل الشاعر بالفعل " لا تصالح" في قوله :

لا تصالح
و لو ناشدتك القبيلة
باسم حزن الجليلة أن تسوق الدهاء
وتبدي لمن قصدوك لقبول (1)

و قد جاءت دلالة هذا الفعل حاملة لمعنى الرجاء، و كأن الشاعر يستدر عطف الطرف الآخر لكي لا يقدم على هذا الصلح، ثم تلجأ إلى المحاججة في قوله :

سيقولون:
ها أنت تطلب ثأرا يطول
فخد الآن ما تستطيع
قليلا من الحق .
في هذه السنوات القليلة
إنه ليس ثأرك وحدك
و لكنه ثأر جيل فجيل
وغدا
سوف يولد من يلبس الدرع كاملة
يوقد النار شاملة
يطلب الثأر
يستولد الحق
بين أضلع المستحيل (2)

نلاحظ في هذا المقطع أن الشاعر قد استهله باستخدام الصيغ المستقبلية عن طريق توظيف الفعل"سيقولون"، و كأنه يوضح للطرف الآخر بأنه أعلم بنوايا أولئك الخونة، و أنهم سيحاولون إقناعه بقبول الصلح بحج واهية مثل أن الحرب ستطول ، و لكنه في المقابل يرد عليهم و يؤكد على أنه سيظهر أجيال أخرى من رحم هذه الأمة لن تتواني عن استرجاع هذا الحق،

1- المصدر السابق، ص12
2- المصدر نفسه ،ص12-13

وملاحظ أنه قد استعان بالحجاج في هذه الأبيات من أجل تقويه موقفه الرافض. و ليخرس أفواه أولئك الخونة الذين ينادون بشعارات هذا السلام المزيف . و يختم أمل هذا المقطع بإدراج الحكمة في قوله :

إنه الثأر

تبهت شعلته في الضلوع

إذا ما توالت عليها الفصول

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)

فوق الجباة الذليلة! (1)

إنه خلال ذلك يقدم لمخاطبه الرأي الصحيح الذي يجب عليه أن يأخذ به، و كأن الشاعر رجل عجوز علم خبرات الحياة و النفوس البشرية، " لذا فإنه يقدم نصيحته للطرف الآخر بأن لا يصالح"[2]،و تتصاعد مشاهد الرفض الدنقلي في القصيدة و ذلك عن طريق استحضار الحدث التاريخي ، حيث يستعين أمل بمشهد خروج المعتصم بالله لفتح عمّورية على الرغم من محاولات الكهان له بالعدول عن قراره بحجة أن الوقت ليس ملائما لذلك و انتصاره في المعركة حيث يقول :

لا تصالح و لو حذّرتك النجوم

و رمى لك كهانها بالنبأ (3)

و قد استخدم الشاعر هذا الحدث التاريخي ليرمز إلى أن الإيمان بالله و التسلح بالشجاعة و القوة و الإرادة و العمل الجدير هو الذي يصنع النصر الأكيد، و ليس الانصياع لإغراءات أولئك الذين أبو إلا يتصدرا مكانة كبيرة سواء ببدعة أو حيلة مزيفة، و هو بذلك يحذر الطرف الآخر من التلهي فإن الثأر يمثل هذه الخرافات .

1- المصدر السابق ص12-13

2- احمد فضل شبلول قراءة في قصيدة "لا تصالح" أمل و نقل اطلع عليه يوم 2020/05/29

3- أمل دنقل ,"ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس "ص14

و يكثر الشاعر من استخدام الأفعال الماضية حيث تكرر الفعل "لم أكن" مرتين إلى جانب استعماله لعدة أفعال أخرى مثل لم أمد، لم أطأ ، لم يصح ، صافحني ، سار ، اختبأ، ثقبتني، اهتز ،تحاملت ، احتملت، فرأيت ،في قوله :

لم أن غازيا
لم أكن أتسلل قرب مضاربهم
أو أدوم وراء التخوم
لم أمد يدا لثمار الكروم
لم يصح قاتلي به "انتبه" !
كان يمشي معي ..
ثم صافحني..
ثم سار قليلا
و لكنه في الغصون اختبأ

فجأة:

ثقبتي قشعريرة بين ضلعين

و اهتز قلبي –كفقاعة –وانفثأ

و تحاملت، حتى احتملت على ساعدي.
فرأيت ابن عمي الزنيم
واقفا يتشفى بوجه لئيم
لم يكن في يدي حربةٌ
أو سلاح قديم
لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظمأ [1]

1- المصدر السابق، ص 14-15

وقد جاءت هذه الأفعال في هذه الوصية متناسبة مع علمية الحكي و القص ، فالشاعر يعين إنتاج حدث قد انقضى الذي يتمثل في مقتل كليب، فيعرض لنا "مشهد بطل مغدور قادم من التاريخ ينزف و يكتب وصيته فيما الحربة منقوعة في ظهره و القناع هنا ليس مجرد قطعة قماش يتخفى وراءها الشاعر، وإنما هو إدانة لواقع دنيوي حادث في وعي الشاعر، حيث يسرد لنا قصة المشابهة بين حالة الشرف العربي السليب، وحالة الماضي حين انتصر الغدر في هذا المشهد الحزين"[1].

و يستمر الشاعر على لسان كليب في التأكيد على محور الفكرة التي تدور حولها القصيدة ، و هي عدم المصالحة ، حيث يستهل مطلع الوصية الثامنة باستخدام الفعل " لا تصالح " الذي جاء هنا للدلالة على النصح في قوله:

لا تصالح ،
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة
و النجوم .. لميقاتها
و الطيور .. لأصواتها
و الرمال .. لذّراتها
و القتيل لطفلته الناظرة
كل شيء تحطّم في لحظة عابرة
الصبا – بهجة الأهل – ص-وت الحصان – التعرف

بالضيف – همهمة القلب حين يرى برعما في الحديقة يذوي –

الصلاة لكي ينزل المطر الموسمي – مراوغة – القلب حين

يرى طائر الموت
و هو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة [2]

1- خضر محجز لا تصالح القصيدة والتحليل مقال نشر علي الموقع الإلكتروني الحوار المتمدن موبايل إطلع عليه يوم 2020/5/28
2- أمل دنقل ,"ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس "'- ص 14 15

فهو ينصح الطرف الأخر بعدم المصالحة حتى تستقيم الحياة و تعود الأمور التي افتقدناها، (الصبا، بهجة الأمل، صوت الحصان، التعرف بالضيف، همهمة القلب ، الصلاة لكي ينزل المطر الموسمي)، فكيف تأتي عملية الصلح و كل هذه الأشياء قد فقدت و حل محلها ما هو نقيض هذه الأشياء ؟

ويصوغ لنا الشاعر مبررات تجعل من هذا المصالحة أمرا غير مقبول، و دلك عن طريق توظيف أسلوب القصر في قوله:

لا تصالح
فما الصلح إلا معاهدة بين ندين
في شرف القلب
لا تنتفض. [1]

فهو يقصر المصالحة على أن يكون كلا الطرفين ندا للآخر على أساس الشرف ،فكيف يمكن أن يعقد هذا الصلح و الطرف الآخر ليس محض لص، فكيف أذهب و أتصالح معه؟

و الذي اغتالني محض لص
سرق الأرض من بين عيني
و الصمت يطلق ضحكة السّاخرة ![2]

و قد أحسن توظيف هذا الأسلوب ليؤكد على أنه لا مجال للمصالحة مع قوم اتسموا بالخيانة و الغدر.

أما في الوصية التاسعة فيستعمل الشاعر الفعل "لا تصالح" في صيغة التحذير في قوله :

لا تصالح
و لو وفقت ضد سيفك كل الشّيوخ [3].

إنه يحذر من قبول المصالحة، من أطراف قد تجد هوى في هذا الصلح لذا يعمد إلى كشف حقيقة هؤلاء عن طريق الاستعانة بمجموعة من الصور في قوله

و الرجال التي ملأتها الشروخ
هؤلاء الذين يحبون طعم الثريد
و امتطاء العبيد

1- المصدر السابق ص 15
2- المصدر نفسه ص 16
3- المصدر نفسه ص 16

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم

و سيوفهم العربية نسيت سنوات الشموخ [1]

فهذه الصور التي جاءت في هذه الأبيات قد أعطت دلالة واضحة علي أولئك الخونة الذين نسوا القيم العربية الشريفة بعد أن رضوا ببعض من الفتات الذي يقدمه له العدو.

و يعود الشاعر إلى استخدام المفارقة بين إظهار مدى التناقض الحاصل بين معطيات الحدث التاريخي و الواقع في قوله:

لا تصالح

أنت فارس هذا الزمان الوحيد

و سواك !.. المسوخ [2].

نلاحظ في هذه الأبيات" نوعا من الانزياح الممسرح بين صوت الملك المغدور و صوت الشاعر المضمر، و هو انزياح تصر القصيدة على تأكيده رفضا لما يتوقعه الشاعرمن حكم السادات المعادل الموضوعي للزير سالم"[3]، فالشاعر يعلم أن بطلل السيرة لم يهادن بل ظل يقاتل حتى تحقق له النصر كاملا، إنه من خلال هذه الصورة يعرض لنا مفارقة تقطر بالسخرية من هذا الواقع الأليم.

أما في الوصية العاشرة و الأخيرة ، و مع إسدال الستار على وصاياه لا يملك أمل إلا ترديد المتلازمة "لا تصالح" في قوله:

لا تصالح

لا تصالح [4]

لقد ختم أمل قصيدته بهذا الفعل ليؤكد على أهميته التي كانت محور القصيدة، و كأن الشاعر استنفد كل السبل من أجل إقناع الطرف الآخر برفض هذا الصلح، و لم يبق له سوى ترديد هذا الفعل بكل ما تحمله من تأثير و إيحاء.

1- المصدر السابق ص 16-17

2- المصدر نفسه ص 17

3- خضر محجز أمل دنقل القصيدة والتحليل مقال نشر علي الحوار المتمدن موبايل إطلع عليه يوم 29/ 2020/5

4- أمل دنقل "ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس" ص 17

وبناء على ما سبق نستنتج أن أمل دنقل قد استطاع أن يكون شاعر البساطة في زمن التعقيد و الغموض، و نجح في تحويل العمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نفر قليل من الكتاب إلى أنشودة جماعية عن طريق "استعمال لغة بسيطة و مفهومة حادة و مباشرة ارتبطت بمعانات الأمة و همومها"[1]

2-الصورة الرافضة في القصيدة:

تعد الصورة الشعرية الرمز الأكثر تأثيرا لأي عمل أدبي و لاسيما الشعر منه، و نجد الشاعر و هو يؤلف من الألفاظ كلاما جديدا يضع بين يديه "صورا كانت مغمورة في أركان هذا العالم المظلم"[2]، فيجمع بخياله جزيئات واقعه النفسي و يلم أشلائها و يركبها ليصنع معماره الفني، و ذلك عن طريق انتقاء مواقف من الحياة التي تخدم و تغدي التجربة الشعرية، " لأن قوة الشعر تقوم أساسا على الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا التصريح بأفكار مجردة" [3] ،

وقد أدرك الشاعر العربي المعاصر هذه المهمة فاستحدث لنفسه صورا تبرهن على مدى قدرته على استعمال اللغة استعمالا فنيا ليخلق تأثيرا و استجابة في المتلقي، و قد اعتمد الشاعر الرافض على الصورة " ليعبر عن ثورته الذاتية، خاصة عندما يقوم ببناء عمل درامي في العمل الشعري كنتيجة مباشرة لإحساسه الرافض بانعدام القيم الشعرية و الفنية في حياتنا الحاضرة"[4]، من أجل خلق ثورة تهدف إلى إعادة التوازن للحياة و القضاء على معالم الفوضى و الفساد في عصرنا.

و لعل الشاعر الرافض قد لجأ إلى توظيف الصور الشعرية هروبا من الدمار الذي كانت تفرضه السلطة على المثقفين في تلك الفترة ليجد فيها المتنفس لتعبير عن خلجات نفسية، و لا عجب إذن أن تكون قصيدة " لا تصالح" التي كتبها أمل موغلة بالصور الشعرية،

1-هاني الخير،" أعلام السعر العربي الحديث أمل دنقل شاعر الوجدان و التمرد"، ص23

2-رجب الهدى العبيدي،" فاعلية شعر الرفض و التمرة دراسة تحليلة في ضوء منهج تحليل الفاعلي "ص355

3- عبد الفتاح صالح نافع " الصورة في شعر بشاربن برد، دار الفكر، عمان، الاردن، د ط، 1983 ص 87

4- سعيد الورقي،" لغة الشعر الحديث"، دار النهضة للطباعة و النشر، ط3، 2005، ص 142

ففي مستهل القصيدة يعرض لنا الشاعر صور عينين ثقبتا و ثبت مكانتهما جوهرتين في قوله:

أترى حين أفقا عينيك

ثم اثبت جوهرتين مكانتهما

هل ترى[1]

و نلاحظ أن هذه الصورة قد ضمنت نوعا من المفارقة فيها، فالعين ثمينة، و لا يمكن للجواهر الباهظة الثمن أن تعوضها فلا شيء يعوض نعمة البصر، أما الصورة الثانية فهي عبارة عن مشهد طفلين واقفين أمام أمهما يستمعان إلى تأنيبها و هما مبتسمين لبعضهما البعض في تآمر لطيف في قوله :

ذكريات الطفولة بين أخيك و بينك

حسكما – فجأة – بالرجولة

هذا الحياء الذي يكتب الشوق .. حين تعانقه

الصمت – مبتسمين – لتأنيب – أمكما

و كأنكما

ما تزلان طفلين !

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما :

إن سيفان سيفك .

صوتان صوتك.

إنك إن مت :

للبيت رب

للطفل لأب [2]

وقد عبرت هاتين الصورتين على أن القيم الإنسانية كالمبادئ و المشاعر أشياء لا تعوض

1- أمل دنقل "ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس" ص6

2 - المرجع نفسه ص6.

و يواصل أمل سير الصور المتدفق في القصيدة في قوله:

أتلبس فوق دمائي – ثيابا مطرزة بالقصب.

في هذا البيت نرى صورة الأخ الحي الذي يلبس ثيابا مطرزة بالحرير و يمشي فوق دم أخيه،إن هذه الصورة التي استعان بها الشاعر في هذه الأبيات ليجسد لنا فضاعة الموقف المتأني من هذا الصلح، كما حددت مصير شعب في عيون أطراف خانت وطنها و قيمها و استباحت دماء إخوتها من أجل أغراض ذاتية خسيسة.

و قد استطاع الشاعر الربط بين أجزاء هذه الصور الشعرية، و شحذها بالدلالات الموحية من أجل إظهار موقف الرافض من هذا الصلح.

وترتكز تشكيل الصورة عند الشاعر على عنصر الخيال الذي يعمل على الربط بين مجموعة من العناصر المتباعدة من أجل إحداث التوازن بين ما تعبر عنه الصورة و بين الحالة النفسية للشاعر في قوله

و اغرس السيف في جبهة الصحراء..

إلى أن يجيب العدم [1]

إن الصورة التي أوردها الشاعر في هذا البيت أقل ما يمكن القول عندها أنها مستحيلة، لأن العدم من المستحيل أن يجيب، و من هنا يظل السيف مغروسا في جبهة الصحراء استعدادا للقتال النزال ،و من خلال هذه الصورة يظهر لنا مدى حرص الشاعر على ضرورة رفض هذا الصلح و مواصلة الحرب إلى غاية تطهير كل الأرض العربية من سيطرة الاحتلال.

و يوظف الشاعر الخيال توظيفا عمليا و منطقيا انطلاقا من البحث في العلاقة التي تربط بين الصور المتجاورة، من أجل إعطاء الدلالة الكلية التي يحاول بثها من خلال هذا الصور و الإيحاءات.

فما ذنب تلك اليمامة

لترى العش محترقا ... فجأة [2]

و هي تجلس فوق الرماد

1- المصدر السابق ص 8

2- المصدر نفسه ص 10

ففي هذه الأبيات نلاحظ أن الشاعر قد قدم لنا صورتين شعريتين،الصورة الأولى صورة اليمامة وقد احترق عشها ثم يتبعها بصورة ثانية تزيد في إيضاح المعنى عندما يصورها وهي جالسة فوق الرماد ونلاحظ أن أمل قد استطاع الربط بين أجزاء هاتين الصورتين ضمن رابط منطقي من أجل إظهار معالم الصورة الشعرية التي يريد الشاعر التعبير عنها ،فاليمامة هي رمز لكل طفل عربي فقد أهله واحترق بنار الفقد والحرمان أما الرماد فهو إشارة لمدى الحزن العميق الذي يشعر به هؤلاء الأطفال من جراء فقدهم لأهلهم.

وتكتسب الكلمة في التصوير الشعري عند شاعرنا مكانها الإيحائي من أجل اكتمال جوانب الصورة و لأنها غالبا ما تكون مقترنا لحقيقة شعورية يسعى الشاعر إلى تأكيدها

كيف تنظر يد صافحوك

فلا تبصر الدم في كل كفّ [1]

لقد قدم لنا أمل في هذين البيتين "صورة للأيدي الملطخة بالدم وقد صافحها عدوها مغمضا عينيه عن الدم الذي يبرق بين الأصابع التي تصافحه"[2]،وقد جاءت هذه الصورة تعبيرا صادقا عن رفض الشاعر لهذا الصلح، خاصة و أن الذي يطلب الصلح ما هو إلا محض قاتل قد تلوث يداه بدماء أخيه، فلا مجال للمصالحة، و إن تجرأ و وضع يده في يد العدو ، فإنه لن يبصر سوى دم أخيه الميت.،وقد جاء الشاعر بهذا الصورة من أجل استثاره النخوة العربية و إعلاء قيمة الثأر و رد الاعتبار لكرامة العرب التي فقدت، فقد جعل أمل من دم أخ المقتول رمزا لدماء العربية التي أهدرت و التي تطالب بأحد القصاص من قتلتها.

وتستمد الصورة قيمتها عند أمل من طريقة تقديم المعنى بهدف التأثير في المتلقي لتثير خياله و يوجهه توجيها عاطفيا و شعوريا.

عندما يملأ الحق قلبك

تندلع النار أن تتنفس

1- المصدر السابق ص102

2- خضر محجز" أمل دنقل القصيدة والتحليل" مقال نشر علي الحوار المتمدن موبايل اطلع عليه يوم 2020/5/29

و لسان الخيانة يخرس [1]

و قد جاءت لفظة "الحق" التي وردت في السطر الأول رمزا للدلالة على حقوق أبناء الأمة و شبابها الذي لم يأخذ بعد، إنه حين يتذكر هذا المشهد الحزين، تشتعل نيران الثأر في صدره، و قد جاءت عبارة " تندلع النار" تعبيرا صادقا عن مدى نفسية الشاعر الثائرة و مدى الغضب المسيطر عليه و هو يرى إرهاصات المصالحة في أورقة السياسية ، إنه من خلال ذلك يحاول شحذ الهمم العربية من أجل نيل الثأر، ويجعل من خلال هاتين الصورتين السابقتين كحجتين لتخريس كل أفواه أولئك الخونة الذين يناشدون بذلك الصلح .

لقد أحسن الشاعر رسم صورته الشعرية التي تعبر عن ثورته الذاتية و النفسية كنتيجة مباشرة لإحساسه الرافض بانعدام القيم الفنية و الجمالية من جراء قمع السلطات لكل أشكال حريات التعبير عند المثقفين.

و تلعب العاطفة دورا مهما في بناء معنى الصورة عند أمل و ذلك عن طريق جعلها تأخذ القالب النفسي الذي يريد الشاعر التعبير عنه في قوله:

كيف تنظر في عيني امرأة
أنت نعرف أنك لا تستطيع حماتها
كيف تصبح فارس في الغرام [2]

لقد قدم الشاعر من خلال هذه الأبيات صورة حسية متمثلة في "صورة الرجل الذي لا يستطيع النظر في عيني زوجته لأنها فقدت ثقتها في قدرته على حمايتها"[3]، و الشاعر من خلال هذه الصورة يضع الطرف الآخر في موجهة أخلاقية بين ما يتعارف عليه الرجل من كونه السند الحامي لزوجته و أحبائه ، فشتان ما بين رجل يهب نفسه للدفاع عن أحبته و بين رجل تجرد من قيم الرجولة، و جاءت الصيغة التساؤلية في هذه الصورة المتمثلة في أداة "كيف" تعبيرا عن مدى الغضب المسيطر عليه و هو يرى حرمة دماء أبناء أمته تنتهك و تضاع من أطراف قد نسيت معاني الرجولة، فالشاعر من خلال هذه الصورة أراد التذكير بهذه القيمة العربية الأصلية ، لعلها تكون دافعا له بالعدول عن قرار الصلح.

1- أمل دنقل "ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس "ص 11
2- المصدر نفسه ص 12
3- خضر محجز لا تصالح القصيدة والتحليل مقال نشر علي الحوار المتمدن موبايل إطلع عليه يوم 2020/5/29

ويكثف أمل من عناصر صورته و ذلك عبر التنسيق بينهما في سياق تعبيري واحد و الجمع بين ما هو تجسيدي و ما هو نفسي.

ارو قلبك بالدم

ارو التراب المقدس

ارو أسلافك الراقدين

إلى أن ترى عليك العظام (1)

لقد قدم لنا أمل من خلال هذه الأبيات صورة البطل الذي يروي قلبه بالدم، و يروي التراب المقدس و يروي قبور أسلافه الراقدين من هذا الدم و ينتظر أن ترد عليه رفات هؤلاء الموتى.

نلاحظ أن هذه الصورة قد جاءت موغلة بالمعاني الغامضة التي تقوم أساسا على الإيحاء عن طريق مجموعة من الصور التي تتآزر بعضها مع بعض من أجل اكتمال المعنى الذي يريد الشاعر الكشف عنه في القصيدة ،

لقد جاءت هذه الصورة للدلالة على مواصلة الحرب إلى غاية إعادة الحق لكل عربي مات، و يلاحظ أن أمل قد عمل إلى التأكيد على هذه الفكرة انطلاقا من صور مختلفة ، و ذلك عن طريق شحذ هذه الصور بإيحاءات الرمزية التي تغلف نسيج هذه الصورة في قالب فكري واحد.

و يظهر الخيال الشعري في هذه الصورة عند الشاعر من استحالة أن ترد العظام عليه و من هنا يظل البطل عاكفا على إراقة الدماء إلى أن ترث الله الأرض و من عليها،و الشاعر من خلال هذه الصورة "يشير إلى قصة الزير سالم التي يقول بأنه كان يمر كل صباح على قبر أخيه كليب فيحيه بالسلام ، و يقول له : لقد قتلت في ثأرك فلان و فلان فهل اكتفيت أم لا ؟ ، فلا يجيبه أحد "(2).

هكذا يريد الشاعر من البطل العربي أن يكون، ألا يصالح إلى أن يرضى صاحب الحق بذلك ،وقد بعث أمل بهذه الصورة تأكيدا على موقفه الرافض من هذا الصلح، و استرجاع كل حقوق أبناء الأمة التي ضاعت .

1 – المصدر السابق ص 12

2 – خضر محجر أمل دنقل لا تصالح القصيدة والتحليل مقال نشر علي الحوار المتمدن موبايل إطلع عليه يوم 2020/5/30

وترتبط وظيفة الصورة عند أمل بمدى قدرتها على تمثيل الموقف تمثيلا ينقل "المعروض" من حالته التقريرية إلى حالة ترى و تعاش بالبصر و البصيرة في قوله:

ثم تبقى يدي العار مرسومة (بأصابعها الخمس)

فوق الجباة الذليلة (1)

في هذا المقطع نري يد العار مرسومة بأصابعها الخمس فوق جبهة الأمير المستسلم، و الملاحظ أن شاعرنا قد عمل إلى استخدام التجسيم في هذه الصورة، و ذلك عن طريق تحويل المعطي المعنوي وجعله في صورة حسية بصرية ترى و تعاش، و قد عبرت هذه الصورة على أن عقد الصلح مع الطرف الآخر لن يخلف سوى العار لهذه الأمة و سيظل هذا العار ملاحقا لأولئك الذين تخاذلوا عن استرداد حقوق إخوتهم مدى الحياة .

لقد أدت هذه الصورة الحسية وظيفة شعرية جمعت بين الفكرة و الشعور ووائمت بين الصيغ البيانية من جهة و تراسل الحواس ومن جهة أخري و هذه من أحدي ميزات الصورة عند الشاعر.

و يستعين أمل بالصورة الدرامية في هذه القصيدة و ذلك عن طريق تداعي مجموعة من الصور التي تندرج تحتها مجموعة من الدلالات التي يتوخاها الشاعر دون أن يصرح بها ، و ذلك باستخدام الشخوص المناسبة و المقنعة و الحدث و الصراع حيث يقول:

لم يصح قاتلي بي " انتبه"!

كان يمشي معي ..

ثم صا فحني ..

ثم سار قليلا

و لكنه في الغصون اختبأ !

فجأة :

ثقبتني قشعريرة بين ضلعين

و اهتز قلبي –كفقاعة – و انفثأ

1- أمل دنقل "ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس" ص13

و تحاملت ، حتى احتملت على ساعدي
فرأيت ابن عمي الزنيم
واقفا يتشفى بوجه اللئيم
لم يكن في يدي حربة،
أو سلاح قديم ،
لم يكن غير غيظي يتشكى الظمأ (1)

إن طبيعة الصورة التي اعتمد عليها أمل في هذه الأسطر الشعرية قد اتسمت بالطابع القصصي خاصة و أنه يعيد إنتاج مشهد اغتيال الملك المغدور على يد ابن عمه، حيث" نرى جساس مختبئا بين الغصون قبل أن يطعن ابن عمه و كليب يتحامل على ساعديه ملتفتا ليرى نظرة التشفي في عيني الغادر"[(2)]، و يطرح الشاعر من خلال هذه الصورة مبررات واقعية تجعل من رفض هذا الصلح أمرا مستحيلا، لقد بعث بكليب من مرقده برداء ملطخ بالدم و هذا الرداء ما هو إلا عباءة الشهيد و رمز لكل شهداء الأمة العربية التي تطالب باستعادة حقها، و هكذا يصبح الزير رمزا للبطل الذي يقع على عاتقه تبعية مواصلة مسيرة النضال من أجل استعادة الحق الذي سلب من طرف قوم اتسموا بالخيانة و الغدر في صورة أمير جساس .

لقد استعان الشاعر في بناء صورته الدرامية هذه على تقنية المونتاج السينمائي ، و ذلك عن طريق توظيف القص من أجل إعادة و ترتيب الأحداث وفق سياق زمني معين ينقل هذا المشهد الدرامي إلى حالة يرصدها الشاعر في واقعة.

و يستمر أمل في إسقاط الصور الموحية على مجريات الأحداث السياسية حيث يعرض لنا صور اللص الذي سرق الأرض من بين يدي صاحبها في قوله :

و الذي اغتالني محض لص
سرق الأرض من بين عيني

1 – المصدر السابق ص 14-15

2 – خضر محجر "لا تصالح القصيدة والتحليل" مقال نشر علي الحوار المتمدن موبايل إطلع عليه يوم2020/5/30

و الصمت يطلق ضحكة
الساخرة ! [1]

لقد عبرت هذه الصورة بوضوح عن "واقع دنيوي حادث بالفعل في ذات الشاعر أنه يسرد لنا قصة المشابهة بين حالتي الحاضر حيث الشرق العربي السلبي المتمثل بضياع الأرض العربي و حالة الماضي حيث انتصر الغدر في هذا المشهد الحزين "[2].

و يختم أمل معرض الصور هذا بصورة ممسوخة لأمراء العرب، و هم يلتهمون الطعام و يمتطون العبيد و قد تدلت عمائمهم العربية فوق أعينهم في قوله :

هؤلاء الذين يحبون طعم الثريد
و امتطاء العبيد
هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم
سيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ(3)

لقد جاءت هذه الصورة معبرة عن تخاذل الحكام العرب الذين باعوا القيم الوطنية في سبيل أن ينالوا بعض من فتات الذي تجود عليه موائد الطرف الآخر، و جاءت لفظة "الثريد" رمزا للإغراءات المادية التي استبدلها هؤلاء الخونة مقابل الشرف و الكرامة.

ويتبين لنا من خلال عرضنا لهذا الصور في هذه القصيدة أن الصورة لدى شاعرنا ليست الصورة البسيطة المفردة فقط، و إنما هي أيضا تلك الصورة المركبة المعقدة التي تشكلها جزئيات تتآزر مع بعضها البعض لتشكل لنا الصورة الكلية التي تتسع فيها العينان لاستيعاب المنظور، و كشف المستور.

1-أمل دنقل "ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس" ص 15
2- خضر محجر "لا تصالح القصيدة والتحليل" مقال نشر علي الحوار المتمدن موبايل إطلع عليه يوم2020/5/30
3- أمل دنقل" ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس "ص 17

3-الإيقاع في القصيدة :

يعد الإيقاع من أهم العناصر المكونة للإبداع الشعري،وتبرز فاعليته من تماهي عدد من العناصر التي تنسجم ظاهريا من خلال لغة الشعر.

و من هنا يتضح أن الإيقاع يعني " انتظام النص الشعري بجميع أجزاءه في سياق كلي جامع يجعل منه نظاما محسوسا و مدركا، ظاهرا أو خفيا يتصل بغير من بنى النص الأساسية و الجزئية" [1] ، و قد تميز الإيقاع الشعر عن الشعراء المحدثين بالثورة على القالب التقليدي، خاصة بعد المعاناة التي كان يلقاها الشاعر المعاصر عند استخدمه لنظام الشطرين، و ضرورة إتباعه للقوانين الصارمة للعروض التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، و التزامه على طول القصيدة ببحر و قافية واحدة مما يجعل من مهمة الشاعر أمرا عسيرا، و لأن الشاعر المعاصر قد أحس بأن الشكل القديم لم يعد قادرا على استيعاب كل أبعاد تجربته الشعرية، لجأ إلى استحداث شكل موسيقي جديد و ذلك عن طريقة التنويع في القوافي و استعمال البحور المركبة و المزج بين الشكلين الحر و الموروث و غيرها من مظاهر التجديد التي مست بناء الشكل الموسيقي للقصيدة العربية.

و يرى أمل أن الإيقاع عنصر مهم جدا من عناصر التوصيل بين الشاعر و القارئ خصوصا إذا ما عرفنا أن الإيقاع في الشعر بالنسبة للأذن العربية و المستمع العربي مهم هذا" [2] ، فهو يرى بأنه خروج بالبناء الشعري من إطار الموسيقي إلى الإطار التشكيلي أو التصويري [3] ، و تعدد القوافي الداخلية التي تعتمد على ما يشبه حسن التقسيم فتحقق مع جرس الكلمات ذات الجو النفسي الذي حرص الشاعر على خلقه و هيمنته على جو القصيدة .

أما في قصيدة " لا تصالح" فقد خلق أمل إيقاعا خاصا من تجربته الشعورية النابعة من إحساس عميق بالثورة و الرفض لهذا الواقع المأساوي و ذلك عن طريق استخدام المفردات الرافضة مثل لا ، و لم و عبارات تهدف إلى تعرية الواقع و كشفه و توظيف التراث من أجل إبراز موقفه الرافض.

1-علوي هاشمي "جدلية السكون و المتحرك"، مدخل إلى فلسفة بنية الإيقاع في الشعر العربي، مجلة البيان،1990، ع،ص811

2- أمل دنقل، "أخر حديث له"، مجلة الإبداع ،العدد العاشر ،أكتوبر، سنة 1983، ص118

3-رجب هدى العبيدي،" فاعلية شعر الرفض و التمرد أمل د نقل و عبد الرؤوف بابكر" ، ص 404

القصيدة تندرج ضمن نظام الشعر الحر قوامها بحر المتدارك " فاعلن" المتكرر طول مقاطع القصيدة التي لا تتواني عن وصل الأسطر الشعرية بعضها ببعض على عادة القصيدة الحديثة ، و لكنها على خلاف قصيدة النثر تحافظ على نوعي من القافية مهمته منحها إيقاعا قويا يتناسب مع مضمون النص الشعري ففي الوصية الأولى يستخدم الشاعر قافية الباء الساكنة مع فتح الحرفين السابقين (الذهب، القصب، الهرب ، و في قوله للطفل أب)، و قد أعطت هذه القافية ارتفاعا و علوا لإيقاع القصيدة الناتج من التشديد علي حركة الفتحة و السكون في الحرف الواحد والملاحظة أن الشاعر قد أكثر من استخدام التفعيلات الناقصة في قوله:

لا تصالح
فاعلن فا
و لو منحوك ذهب
0/// 0/// 0///
علن فعلن فعلن

هل ترى
0// 0/
فاعلن
هي أشياءن لا تشترى
0//0/ 0/ 0/0/ //
فعلن فاعل فاعلن

ذكريات طفولة بينك و بين أخيك
/0/ // 0/ / // 0/// 0//0/ 0//0/
فاعلن فاعلن فعلن فعل فاعل فاع

حسسكما فجأتن برجولة
// 0/// 0//0/ 0// //0
لن فعلن فاعلن فعلن فع

هذ لحياء لذي يكبت ششوق حين تعانقه
//0// /0/ /0/ 0 //0/ 0/// 0//0//
ل فاعلن فعلن فاعلن فعل فاعل فاعل

مبتسمين لتأنيب أمكمما

0//0// /0/0// /0///0/

فاعل فاعل فاعل فعلن فعل

و كأ نكما ماتزالان طفلين

/0/0/ /0/ 0//0/ 0/// ///

فعل فعلن فاعلن فاعلن فاع

تلك طمأنينة لأبدية بينكما

0///0////// 0//0/ 0///0/

لن فعلن فاعلن فعل فعلن فعلن

إن سيفان سيفك

// /0 /0//0 //

فعلن فاعلن فع

صوتان صوتك

// 0/ /0/ 0/

لن فاعلن فع

إننك إن متت

/0// /0 /0/

لن فعلن فاع

للبيت ربن

0/// //0/0/

لن فاعل فعل

ولطفل أبن

0//0///

فعلن فعل

هل يصير دمي بين عينيك

/0 //0///0 /0//0 /0/ /0/

فاعلن فعلن فاعلن فاعلن فـ

أتنسى رداء لملط طخ
// 0 //0/0//0/ 0//
علن فاعلن فاعلن فع

تلبس فوق دمائي ثيابا مطرزتن باقصب
0//0/ 0/// // 0/0//0/0// / 0///0/
لن فعلن فعلن فاعلن فاعل فعلن فاعلن

إنه لحرب
/// 0 /0/ 0 0
فعلن فع

قد تثقل لقلب
00/ 0//0/ 0/
لن فاعلن فا

لكن خلفك عار لعرب
0// 0/0/ //0/ 0//
علن فاعل فاعل فعل

لا تصالح
0/ 0//0/
فاعلن فا

و لا تتوخخ لهرب (1)
0//0 / 0/// 0//
علن فعلن فاعلن

و قد لجأ الشاعر إلى هذا النوع من التفعلية ليتيح لسطر الشعري إمكانية إيقاعية لارتباطه بالأسطر التابعة و اللاحقة و ذلك يسمح له بالمحافظة على الإيقاع الداخلي للقصيدة .

1- أمل دنقل "ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس " ص 6 -7

لقد حاول أمل في هذا المقطع أن يقيم البناء الموسيقي الخارجي في سطور هذه الوصية، فكأن طبول الحرب تقرعها قوافي الصارخة، و تقريع كل من تسول له نفسه بقبول هذا الصلح .

و يمنح التدوير إمكانيات إيقاعية تساهم في إضفاء الحركة للقصيدة و جعلها بيتا واحدا متصلا لا ينتهي عروضيا إلا مع نهاية القصيدة

لا تصالح على دم .. حتى بدم
0// 0/ 0/ 0/ 0// 0/ 0// 0/ 0/ 0// 0/
فا علن فاعلن فا عل فاعلن

لا تصالح و لو قيل رأس برأس
00// / 0/ /0/ 0// 0/ 0//0/
فاعلن فاعلن فاعلن فعلن

أكلك رؤوس سواء
/ 0/// 0 /// 0//
فعل فعلن فعلن ف

أقلب لغريب كقلب أخيك
0 0 /// 0/// 0//0/ 0//
علن فاعلن فعلن فاعله

أعيناه عينا أخيك
00// 0/0//0/0//
فعل فاعلن فاعلن

و هل تساوي يد .. سيفها كان لك
0//0/ 0//0/ // 0/ 0// 0//
فعل فعل فاعل فاعلن فاعل

بيدن سيفها أتكلك
0//0/ 0//0/ 0///
فعلن فاعلن فاعلن

سيقولون

/0/ 0///

فعلن فاع

جئناك كي تحقن دم..

0/ //0/ 0//0/0/

عل فاعلن فاعل فا

سيقولون

/0/ 0///

فعلن فاع ها نحن أبناء غم

0//0/ 0//0/ 0/

لن فاعلن فاعلن

قل لهم إنهم لم براع لعمومة فيمن هلك

0//0/ 0/// 0// 0/0//0/ 0/// 0//0/

فاعلن فعلن فاعلن فاعلن فعلن فاعلن

وغرس سيف في جبهة صحراء

/ 0/0/ //0/ 0/ /0/ 0/0/

فاعل فاعلن فاعل فاعل ف

إلى أن يجيب لعدم

0//0/0// 0/ 0//

علن فاعلن فاعلن

إنني كنت لك

/ / /0/ 0///

فعلن فاعل ف

فارسا

0//0/

عل فعل

وأخن

0///

فعلن

أبا

0///

فعلن

وملك [1]

0///

فاعلن

لقد استخدم الشاعر في هذا المقطع مجموعة من الأصوات و الألفاظ المتشابهة التي تحقق تقفية داخلية في صلب القصيدة لما لعنصر التكرار الصوتي من قيمة إيقاعية تزداد عند تفاعلها مع بقية العناصر الإيحائية، حيث تضافرت حروف القافية التي رويها الميم الساكنة (بدم، الحكم، عم ، العدم، مع قافية الكاف الساكنة (كنت لك، أتكلك، فيمن الهلك، كنت لك، ملك)، مع باقي العناصر الأخرى من أجل إبراز حدة التوتر التي يعيشها الشاعر تجاه هذا الواقع المتمثل في رفض الصلح مع إسرائيل، و ذلك انطلاقا من توظيف حادثة اغتيال الملك المغدور على يد ابن عمه و ربطها بمجريات الأحداث السياسية الراهنة.

و تضفي حروف اللين ارتفاعا في درجة التلوين الصوتي الأمر الذي يزيد من بروز الإيقاع لداخلي للقصيدة الذي يمنحه سطوة على النص، و يكسر من حدة التوتر في القصيدة في قوله:

لا تصالح

و لو حرمتك الرقاد

صرخات الندامة

و تذكر..

(إذا لأن قليك للنسوة اللابسات السواد و لأطفالهن الذين

تخصاهم الابتسامة)

إن بنت أخيك "اليمامة"

زهرة نتسربل في سنوات الصبا

بثياب الحداد.

1- المصدر السابق ص 7- 8

كنت إن عدت

لعدو على درج القصر

تمسـ – ك — سـ – ا قي عن – –د

نزولي

فأرفعها — و هي ضاحكة

فوق ظهر الجواد

ها هي الآن .. صامته

حرمتها يد الغدر

من كلمات أبيها

من ارتداء الثياب الجديدة

من أن يكون لها — ذات يوم — أخ !

من أب يبتسم في عرسها

و تعود إليه إذا الزوج أغضبها

و إذا زارها ... يتسابق أحفاده نحو أحضانهم

لينالوا الهدايا ..

و يلهو بلجيته (و هو مستسلم)

و يشدو العمامة

لا يصالح فما ذنب تلك اليمامة

أترى العش محترقا ... فجأة

و هي تجلس فوق الرماد ؟؟ (1)

1- المصدر السابق ص7-8-9

و نلاحظ أن تعاقب هذه المفردات (الرقاد، السواد، الحداد، الجواد، الرماد، الندامة، ابتسامة، اليمامة، العمامة)، بهذه الشاكلة يمنح السياق متنفسان لألام التي تعتمل داخل النص و تبحث عن مخرج لها،

وقد استعان الشاعر بحروف اللين في هذا المقطع ليصور لنا حالة الحزن و الألم التي عاشها الإنسان العربي في هذه الفترة.

وتشكل علامات الترقيم موقعا دلاليا هاما يساهم في إيضاح الخط الصوتي الذي يتخذه الشاعر في القصيدة من أجل إيصال أفكاره على النحو المناسب من الوضوح و التأكيد .

لا تصالح

و لو توجوك بتاج الإمارة

كيف تخطو على جثة ابن أبيك .. ؟

و كيف تصير المليك ..

على أوجه البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر في يد من صافحوك ..

فلا تبصر الدم

في كل كفّ ؟

إن سمها أتاني من الخلف

سوف يجيئك من ألف خلف

فالدم – الآن صار و ساما و شارة

لا تصالح و لو توجوك بتاج الإمارة

إن عرشك : سيف

و سيفك : زيف

إذا لم تزن – بذؤ لبته – لحظات الشرف –

و استطبت – الترف (1)

1- المصدر السابق10-11

و نلتمس من خلال قراءتنا المتأتية لهذا المقطع من انتشار أداة الاستفهام، و نقطة التوتر (.) ، وعلامة الانفعال (– –) على طول أسطر هذا المقطع، و قد سمح تضافر هذه الأدوات مجتمعة في خلق ضرب من التنغيم المتصاعد الذي يعطي دفعا قويا لإيقاع القصيدة، و يزيد من إبراز توتر الشاعر و شعوره بالرفض إزاء المحن المحيطة بأمته و شعبه.

و تمنح القافية الساكنة إيقاعا عاليا يوحي بتصاعد حدة الرفض ضمن القصيدة و الذي يكون متناسبا مع الحالة الشعورية عند الشاعر.

لا تصالح
و لو قال من مال عند الصدام
"ما بنا طاقة لامتشاق الحسام.."
عندما تملأ الحق قلبك:

تندلع النار إن تتنفس
و لسان الخيانة يخرس

لا تصالح
و لو قيل ما قيل من كلمات السلام
كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنّس
كيف تنظر غي عيني امرأةٍ
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟
كيف تصبح فارسها في الغرام؟
كيف ترجو غدا .. لو ليدٍ ينام ؟
كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام
و هو يكبر – بين يديك – بقلب منكّس ؟
لا تصالح
و لا تقتسم مع من قتلوك الطعام
وارو قلبك بالدم
و ارو التراب المقدس

و ارو أسلافك الراقدين
إلى أن ترد عليك العظام [1]

يوحي لنا هذا المقطع باستمرار المنحة التي تمر بها الأمة العربية بعد الهزيمة التي تلقتها العرب أمام إسرائيل، و جاء تكرار ضمير المخاطب (تستنشق، تنظر، تعرف، تصبح، ترجو، تحلم، تتغنى، لا تقتسم، أرو.) ليدل على توحد ذات الشاعر بالشخصية التاريخية التي تطالب باسترداد الحق المسلوب، و قد جاءت كل من حركة الميم و السين الساكنتين في نهاية هذه الأسطر لتوحي لنا بحالة الرفض التي يعيشها الشاعر، و هذا هو السياق الذي ذهب إليه أمل من خلال توظيف قناع الملك كليب وائل في القصيدة.

و للإيقاع دور كبير في إضفاء الحركة للقصيدة، و ذلك من خلال الجوازات التي وجدناها في البحر، خاصة و أن تتابعها وفق نمط معين يتيح للشاعر إعطاء نوع من الدفعات و التموجات الموسيقية التي تعبر عن حالته الشعورية.

لا تصالح
0/0//0/
فاعلن فا
و لو ناشدتك لقبيلة
/ 0//0/0//0/ 0//
علن فاعلن فاعلن ف
بسم حزن لجليلة
/ /0/0 /0/ /0/
عل فعل فاعلن ف
أن تسوق دهاء
00// / 0// 0/
عل فعل فعلن

1- المصدر السابق ص10-11

و تبدي لمن قصدوك لقبول
00//0 / 0/// 0// 0/0//
فعل فا علن فعلن فاعلن
سيقولون
00/0///
فعلن فا ها أنت تطلب ثأرن يطول
00// 0/0/ //0/ /0/ 0/
عل فاعلن فعلن فا علن

فخذ لأن ما تستطيع
/0//0/ 0/ //0///
فعلن فعلن فاعلن ف

قليلن من لحقق
/0/0 / /0/0//
علن فا علن فاع

في هذه سنوات لقليلة
//0//0 /0/// /// 0/
لن فعل فعلن فا علن ف
إنه ليس ثأرك وحدك
/// /0/ //0/ /0//
فعل فاعلن فعلن فع
لكنه ثأر جيل فجيل
/// //0 / /0 / 00//
فعل فعل فعل فعلن

و غدن
0// /
فعلن

سوف يولد من يلبس درع

كامل

/0/ //0/ 0/ //0/ / 0/

//0/

فا علن فعلن فاعل فاعلن

فع
يوقد نار شامل
//0/ /0/ //0/
لن فعلن فعل فع
يطلب ثأر
00/ //0/
لن فعلن
يستولد لحقق
/0/0//0/0/
فاعل فعل فاع

من أضلع لمستحيل .
0 0//0/0 / /0/ 0/
لن فاعلن فاعلن ف

لا تصالح
0/0// 0/
فاعلن فا
و لو قيل عن تتصالح حيل
/ 0/// 0//0 // /0/ 0//
علن فاعل فا علن فعلن ف

إنه ثأر

00////

عل فعل

تبهت شعلته في ضلوع

00// 0/ ///0/ //0/

فاعل فاعل فعل فعل

إذا ما توالت عليه لفصول

00/0/0// 0/0//0/0//

فعل فاعلن فا علن فاعل

ثم تبقى من لعار مرسومتن بأصابعه لخمس.

0 0/0 ///0/// 0//0/0/ /0/0 //0/0/0/

فاعل فا علن فاعلن فاعلن فعلن فعلن فا

فوق لجباة ذليلة [1]

/ 0///0//0/0/

عل فاعلن فعلن ف

1 - المصدر السابق ص12 – 13 - 14

في هذا المقطع يستغل الشاعر تفاوت الأسطر الشعرية في الطول و القصر و ذلك من أجل إحداث نوع من التناغم بين الوحدات الإيقاعية في القصيدة،حيث يبدأ الشاعر هذا المقطع بإيقاع قصير(لا تصالح) يوحي بأمر قاطع لا مجال للمناقشة فيه، ثم ينتقل إلى استخدام جمل خبرية تطول (ولو ناشدتك القبيلة،باسم حزن الجليلة،أن تسوق الدهاء و يبدي لمن قصدوك القبول ...) يساهم تتابعها في خلق نوع من الإيقاع المنتظم في القصيدة.

والملاحظ أن الشاعر قد تحرر من الروي المتكرر في نهاية الأسطر مستعينا بالقافية المتحررة التي تمنح تتابعها داخل النص متنفسا بالآلام التي تعتمر داخل نفسية الشاعر لواقع مرير يعيشه الفرد العربي.

لقد صاغ لنا الشاعر إيقاعا خاصا منبثقا من تجربته الشعورية النابعة من إحساس عميق بضرورة رفض كل مشاريع بيع الأمة الأمر الذي دفعه إلى معارضة التطبيع مع الكيان الصهيوني.

لا تصالح و لو حذرتك النجوم
و رمى لك كهانها بالنبأ ...
كنت أغفر لو أنتي مت ...
ما بين خيط الصواب و خيط الخطأ.

لم أكن غازيا،
لم أكن أتسلل قرب مضاربهم.
أو أحوم وراء التخوم.
لم أمد يدا لثمار الكروم.
أرض بستانهم لم أطأ.
لم يصح قاتلي بي. " انتبه " !
كان يمشي معي ....
ثم صافحني .....
ثم سار قليلا
و لكنه في الغصون اختبأ
فجأة:
تقبثني قشعريرة بين ضلعين

و اهتزّ قلبي –كفقاعة و انفثأ
و تحاملت ، حتى احتملت على ساعدي
فرأيت: ابن عمّي الزنيم.
واقفا يتشفى بوجه لئيم.
لم يكن في يدي حربة

أو سلاح قديم،

لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظمأ.[1]

إن تشكيل الصورة السمعية في هذا المقطع قد جاء عن طريق التكرار أو التماثل الصوتي (لم أكن، لم أمد، لم أطأ، لم يصح، النجوم، الكروم، صافحني، ثقبني تحاملت ، احتملت، الزنيم، لئيم، قديم،) و ذلك يجعل الوحدات الصوتية تنسجم مع بعضها البعض لتحقق إيقاعا مميزا للنص يؤكد إصرارا الشاعر على موقفه الرافض.

1- المصدر السابق ص14-15

و يستغل الشاعر تقنيات الإيقاع التي تثري القصيدة و تزيد من كثافتها كالتوازي و التكرار و التقابل الشكلي بين الحروف و الكلمات و الجمل، و ذلك يجعلنا أمام وحدات صوتية تخضع في تتابعها لنظام التوازي الصوتي.

لا تصالح

إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة.

و النجوم .. لميقاتها.

و الطيور .. لأصواتها.

والرمال ..لذراتها

و القتيل لطفلته الناظرة

كل شيء تحطم في لحظة عابرة.

الصبا – بهجة الأهل – صوت الحصان – التعرف.

بالضيق – همهمة القلب حين يرى درعها في الحديقة يذوي.

الصلاة لكي ينزل المطر الموسمي – مراوغة القلب حين يرى

طائر الموت.

و هو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة

كل شيء تحطم في نزوة فاجرة

و الذي اغتالني : ليس ربا

ليقتلني بمشيئته.

ليس أنبل مني ليقتلني بسكينتة

ليس أمهر مني ليقتلني باستدارته الماكرة

لا تصالح

فما الصلح الإ معاهدة بين ندين

(في شرف القلب لا تنتفص)

و الذي اغتالني محض لص

سرق الأرض بين عيني
و الصمت يطلق ضحكته
الساخرة ! [1]

نلاحظ في هذه المقطع التجمعات الصوتية و ذلك من خلال تضافر كل من قافية الراء فالهاء الساكنة (الدائرة، الناظرة، فاجرةّ، الساخرة، مع إدخال بعض القوافي الأخرى لكسر رتابة هذه القافية مثل التاء فالهاء الممدودة ، ميقاتها، أصواتها، لذراتها، و التاء فالهاء المكسورة(بمشيئة – بسكينته) و الصاد الساكنة (لا تنتقص – محض لص).

و جاء تنوع هذه القوافي بمثابة وقفات نفسية يعبر بها الشاعر عن حالته الشعورية ،ويضفي تكرار كل من ضمير المتكلم(اغتيالي ، ليقتلني، ليقتلني ، ليس أمهر مني، ليس (أنبل مني) و الغائب (بمشيئته، بسكينته) في القصيد نغما خاصا و إيقاعا مميزا يبرز من خلالها جرح الإنسان العربي و مدى إحساسه بالمهانة، و ليؤكد في نفس الوقت على موقفه الرافض من هذا المشهد

لقد أتاحت هندسة هذا المقطع على كل من نظامي التوازي (النظام العمومي للأبيات) و التقابل (النظام الأفقي للأسطر) في إتاحة نظام هندسي ثالث يكمل في مساحة البياض الممتدة على حافة الأسطر بشكل عمومي ، و لأن البياض لا يجد معناه إلا في تعالقه مع السواد باعتباره مظاهرا من مظاهر الإبداعية ، فقد جعل الشاعر التقابل بين هذين الطرفين ليعكس لنا واقع الأمة انطلاقا من هذا السياق التاريخي ، بحيث يصبح للنص المكاني سياقه الذي يقوله و يساعد في بناء القصيدة.

1- مصدر سابق ص 16 – 15

و يستعمل أمل القافية المقيدة و الشديدة التقييد بسبب إلتقاء الساكنين من أجل خلق إيقاع حاد و بطيء في القصيدة .

لا تصالح
0/ 0//0/
فاعلن فا

و لو وقفت ضد سيفك كلل ششيوخ
00//0 /0///0/ // 0/// 0//
علن فعلن فاعلن فعلن فا علن

و رجال لتي ملأتها شروخ
00// 0/0/// 0// /0// /
فعلن فعلن فعلن فا علن

هؤلاء لذين يحبون طعم ثتريد
00// 0/0/ /0/// /0// ///0/ /0///
فعلن فعلن فعل فاع لن فا علن

و متطاء لعبيد
00//0 /0// 0/
فاعلن فاعلن

هؤلاء لذين تدلت عمائمهم فوق أهينهم
0///0/ /0/ 0///0// 0/// /0/// 0///
فعلن فعلن فعل فا علن فعلن فاعلن فعلن

لا تصالح
0/0//0/
فاعلن فا

فليس سوى أن تريد
00//0/ 0// /0//
علن فعلن فاعلن

أنت فارس هذا زمان لوحيد
/0//0 // //0 0// //0/ 00/
فاعلن فعل فا علن فا عل

سواك .... لمسوخ
00//0 /0///
فاعلن فـاعلن [1]

لقد كثف الشاعر من استخدام هاتين القافتين ليظهر لنا تصاعد حدة الرفض من هذا الواقع المرير، و ليؤكد بذاك استمرار مأساة الأمة العربية على صعيدين السقوط في براثن الأعداء و ثانيها سقوط حكامها في حياة الدعة و الخمول .

و يستغل الشاعر تكرار قافية المتلازمة " لا تصالح" ، في ختام هذه القصيدة و ذلك لتكون بمثابة المفتاح الأساسي للقصيدة . في قوله :

لا تصالح
0/0//0/
فاعلن فا

لا تصالح [2]
فاعلن فا

و نلخص إلى أن بنية الإيقاع الشاعر أمل د نقل قد تلونت بإيقاعات رافضة، و بمفردات و معان متمردة و ازدحمت بالقوافي الداخلية، و تشبعت بفنون الشد و المد و التنوين و تسجيل هذه التوترات عبر شعر التفعيلة دون الانحراف إلى قصيدة النثر. فتشكل هذا الصوت الجرئ الرافض عبر أداة الشعر التي كانت طيعة لديه و حملت كامل ايقاعات الحالات الشعورية التي تأصلت في ذاته المتمردة.

1- المصدر السابق ص15- 16
2- مصدر نفسه ص 16

الخاتمـــة

و في ختام هذا البحث المستفيض عن الرفض في الشعر أمل د نقل، نحاول أن نخلص إلى بعض النتائج التي توصلنا إليها نلخصها سريعا لنختتم ثمرة هذا الجهد المتواضع.

*الشاعر أمل د نقل أنموذج لشاعر المبدع و المكافح الذي حاول بقلمه و شعره أن يعكس مأساة أمته، و يعبر عن تطلعات أبناء شعبها، و يلم بجراحها.

*لقد توحد أمل في الارتباط بقضايا أمته ووطنه و تفاعل مع الأحداث السياسية و الاجتماعية التي شهدتها مصر والوطن العربي ولعل هذا كان من بين الدوافع التي ساهمت في طغيان عنصر الرفض وهذا دليل أن الشاعر كان ملتزما بقضايا وطنه وانعكست روح القومية في ذاته.

*لقد وقف أمل علي أهم المشاكل الكبرى التي تعاني منها الأمة العربية ولعل أبرزها هي حالة فقد الحريات التي يعاني منها الإنسان المعاصر الذي سكنه الخوف والإحباط الناتج عن عجزه عن إحداث تغيير في مجتمع غابت فيه الديمقراطية وشاع فيه الظلم والفساد، وهذا ما دفع به إلي تحريض أبناء أمته إلي رفض هذه الأوضاع وإعادة كرامة الفرد العربي التي سلبت.

*الرفض بالنسبة للشاعر أمل دنقل توجه فكري وقناعة عقائدية من ضرورة رفض كل أشكال الظلم والطغيان التي تهدد الكيان الإنساني وتعمل علي سلبه حريته

*رفض أمل كل مشاريع بيع الأمة،وقد استطاع من خلال قصيدته "لا تصالح " دمج المعطيات التاريخية و إسقاطها علي أحداث السياسية المتمثلة في رفض التطبيع مع الكيان الصهيوني وقد تحولت عنوان القصيدة إلي شعارات تناقلتها ألسنة آلاف العرب رفضا لمعاهدة السلام التي دعا إليها الرئيس السادات

*يتميز شعره بجمال الأسلوب و متانة الصورة، و صلابة الإيقاع و العاطفة الصادقة التي كرسها في خدمة وطنه و أمته.

*شكل الاتجاه القومي و الاجتماعي الجوهر الحقيقي لقصائده السياسية، فالأحداث التي مرت فيها مصر و الوطن العربي قد شكلت رافدا أغنى به تجربته الشعرية ، ولعل نكسة 1967 ،كانت الفيصل في تحوله إلى شاعر رافض من دعاة الثورة و التغيير.

*تميزت اللغة الشعرية في قصيدة "لا تصالح" بطابع مميز يجمع بين عنصري الحداثة والتراث وقد اصطبغت بلمحة رافضة اعتمد الشاعر فيها الشاعر علي الرمز والغموض أحيانا وعلي المباشرة أحيانا أخرى

*لقد كانت الصورة الشعرية أبرز أداة فنية ساهمت في إبراز تصاعد حدة الرفض التي يعيشها الشاعر

*نجح أمل دنقل في تحويل شعوره بالرفض في قصيدة "لا تصالح" إلي إيقاعات تتناسب مع حالته الشعورية التي تأصلت في ذاته

*اهتم أمل بتقنية بناء القصيدة في معظم دواوينه الشعرية، و قد شكلت قصائده نقطة اتصال بين التراث و المعاصرة.

*تمسك أمل بالتراث العربي و الإسلامي رغم تأثره بالثقافة الغربية و اليونانية، و قد نجح في إعادة الأصالة للشعر العربي عن طريق توظيف الشخصيات و الرموز التراثية .

الرفض في شعره اشتمل علي قيم وطنية و اجتماعية و إنسانية و قومية تمثل واقع الأمة في ماضيها و حاضرها.

*قصيدة " لا تصالح" تمثل قصيدة الهجاء السياسي ، خاصة و أن الشاعر نظمها في فترة قد مثلت موقف الشاعر و العرب من معاهدة السلام، و رمزية القصيدة جعلتها صالحة لكل ظرف يخون الأخ أخاه

و يسامح بدمه و يتصالح مع قتلته بدم بارد.

*و لعل أبرز نتيجة قد توصلت إليها من خلال هذا البحث تتمثل في أهمية الدراسة النقدية و الموضوعية التي لا تزال تحتاج مني جهدا أكثر في المستقبل.

قائمة المصادر

والمـراجـع

أولا: المصادر.

دواوين الشاعر.

1-أمل دنقل ،"أعمال الشعرية الكاملة، دار العودة "، بيروت مكتبة مدبولي ،القاهرة ، ط1985،2 .

2-أمل دنقل ،"ديوان "تعليق على ما حدث" دار العودة ،بيروت ،1971.

3-أمل دنقل ديوان " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"

4 - أمل دنقل ،ديوان أقوال جديدة عن حرب البسوس"، دار الكتب العربية ، 1983.

4-ابن قتيبة ،" الشعر و الشعراء"، تقديم الشيخ حسن تميم مراجعة محمد عبد الطعم العريان، دار الحياء، العلوم بيروت ، ط3، 1987

5-ابن عبد ربه ،"العقد الفريد"المطبعة الأزهرية" ، دط ،دت ،ج3 ،ص290

6-الجاحظ ،" البيان و التبين "مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دط ،1976.

7- أبو أحمد بن محمد بن حسن المرزوقي، " شرح ديوان الحماسة " تح ، أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، دار جيل ، بيروت ، 1998.

ثانيا :المراجع

8-أحمد الدوسري " أمل دنقل شاعر الخطوط على النار"، المؤسسة العربية للدراسات و النشر عمان، ط2، 2004.

9-هاني الخير،" أعلام الشعر العربي الحديث" ،أمل دنقل شاعر الوجدان و التمرد، مؤسسة رسلان للطباعة و التوزيع، دمشق، ط1، 2017 .

10- نسيم مجلي، "أمل دنقل أمير شعراء الرفض"، مكتبة الأسرة، د ط ، 2010

11- عبلة الرويني" الجنوبي" دار سعاد الصباح، القاهرة، ط1، 1992.

12- منير فوزي،" صورة الدم في شعر أمل دنقل مصادرها قضاياها، ملامحها الفنية" دار المعارف، مصر، ط1، 1998 .

13- محمد سليمان عيال سلطان ،"الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية"، دار اليازوردي العلمية للنشر و التوزيع،ط1،عمان،الأردن،2015.

14- رجب هدى العبيدي،" فاعلية شعر الرفض و التمرد أمل دنقل وعبد الرؤوف بابكر دراسة نقدية موازية في ضوء المنهج التحليل التفاعلي، دار العربية للنشر و التوزيع ط1، مصر،القاهرة،2013.

15- أبو البشر بن أبي اليمان البندنيجي " التقفية في اللغة" تح خليل إبراهيم العطية، مطبعة العالي، بغداد،ط1، 1976.
16- أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري،" أساس البلاغة "، تح خليل الرحيم محمود لبنان، بيروت، دار المعرفة ، دط ،دت .
17- الخليل بن أحمد الفراهيدي ،"معجم العين" دار الكتب العلمية بيروت، 2004.
18- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي،" القاموس المحيط، "دار جيل للنشر و التوزيع،
19- إبراهيم مصطفى، احمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، معجم " الوسيط" معجم اللغة العربية ، دار الفكر للنشر و التوزيع،دط ،دت.
20- ابن منطور " لسان العرب" ، ج 1 ، دار الفكر للنشر و التوزيع، دط ، دت.
21- جميل صلينا ، "المعجم الفلسفي"، دار الكتب اللبنانية ، ط1، 1971.
22- سالم محمد علي دنون " جماليات الرفض في الشعر العربي" مقاربة تأويلية في شعر أبي تمام، دار مجدلاي للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1، 2001.
23- إحسان عباس ،" محاولات في النقد و الدراسات الأدبية "، دار العرب الإسلامية، ط1، 2000 .
24- سعد عبد الرحمن ،" السلوك الإنساني" ، مكتبة الفلاح ، ط3، .1983
25- محمد حياتن،" مفهوم التمرد عند ألبيركامي وموقفه من الثورة الجزائرية التحريرية"، ط1، 1984
26- سعيد غانم ، "أدب الرفض السوفياتي" ، دار النهار، للنشر و التوزيع، لبنان ، 1970
27- فاروق العاصمي ، " آفاق التمرد" قراءة نقدية في تاريخ الأروبي و العربي و الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 2004.
28- عز الدين إسماعيل " الشعر في إطار عصر الثورة"، دار الحداثة، ط2، 1988.
29- محمد رحب النجار" حكايات الشطار و العيارين" حكايات في التراث العربي ، الهيئة الوطنية للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1978
30- أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري "صحيح البخاري" دار ابن الكبير دمشق، بيروت ، ط1 .
31- عبد الرحمن خليل إبراهيم ، "دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول "ط1 ، 1971.
32- عمر فاروق الطباع ،"مواقف في الأدب الأموي" دار العلم ، بيروت ط1 ، 1991 .

33- شوقي ضيف ، "التطور و التجديد في الشعر الأموي" ، دار المعارف ، مصر ، 1981 .
34- صبار نور الدين،" شعر الرفض في العصر العباسي الأول" ثنائية الثبات و التغير ، دار العرب للنشر و التوزيع ، 2002.
35- محمد عبد المنعم الخفاجي،" الحياة الأدبية في العصر العباسي "، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية ، مصر ، ط1، 2004.
36- نزار قباني ،" قصتي مع الشعر " سيرة ذاتية منشورات نور بيروت ، لبنان ، 1979.
37- نزار قباني ،" أعمال السياسة الكاملة " بيروت لبنان ، ط2 ، 1982.
38- عبد الوهاب البياتي،" ديوان النار و الكلمات "، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1964.
39- أحمد العزب، " ديوان مسافر في التاريخ " ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق،1997.
40- محمد عز الدين المناصرة، " ديوان الخروج من البحر الميت " دار العودة ، بيروت، ط1،دت
41- سيد البحراوي، " الحداثة العربية في الشعر المعاصر " دار المعارف ، مصر،دط ، دت .
42- جابر عصفور، " ذاكرة الشعر " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،دط ، دت .
43- أحمد سويلم،" شعراء العصر القصير" ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ط1 ، 1999.
44- مراد عبد الرحمن مبروك ، "الدم و ثنائية الدلالة" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997.
45- عدنان حسن قاسم ،" لغة الشعر العربي " أصالة التراث في مواجهة التفجين، مؤسسة الكتاب للتوزيع و الإعلان و المطابع ، ط1 ، 1981.
46- عبد الفتاح صالح نافع ،" الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، 1983.
47- السعيد الورقي ،" لغة الشعر الحديث "، دار النهضة للطباعة و النشر ، ط3 ، 2005.
48- والف بارتون ،" انسانية الانسان " ،تر ، خضراءالجيوسي ، دار الثقافة ، ط1 ، 1986.
49- غاستور باشلار،" فلسفة الرفض" تر خليل إبراهيم أحمد، دار الحداثة، لبنان بيروت، ط1،1984.
50- ماتن هيدجر، " ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا هيلدرلن أو ماهية الشعر"، تر فؤاد كامل و محمد رجب راجعها على أصل الماني و قدم لها عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة ، ط2 ، 1974.
51- إيرك فروم ، "الخوف من الحرية "، تر مجاهد عبد المنعم، سلسلة دار المعرفة ، ع 140.

52- ألبير كامي ،" إنسان المتمرد" ، تر نهاد رضا ، منشورات عويجات ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1983.

الرسائل الجامعية:

1- إسلام خالد سلمان أبو غفرة السرد في شعر أمل دنقل ، مذكرة الماجستير جامعة الأزهر عزة، كلية آداب و العلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية إشراف د. فوزي إبراهيم الحاج.

2- لعروسي سعاد ، لعريك نبيلة ،" التناص في شعر أمل دنقل قصيدة " لا تصالح " أنموذجا " مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي ، المركز الجامعي العقيد اكلي محمد أولحاج البويرة ، إشراف د. لباشي عبد القادر.

المجلات:

1 – محمد عبد الواحد ، "أمل دنقل الموت على مشانق الصباح " لملف خاص، جريدة القاهرة ، العدد 162-2003

2 – علي مصطفى عشا ، " البعد الثوري في شعر أمل دنقل" العلو الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد 36 ، العدد 3، 2009.

3 – اعتماد عبد العزيز، " آخر حديث مع الشاعر" ، مجلة الإبداع ، أكتوبر، 1983

4 – علوي الهاشمي ،" جدلية السكون المتحرك " ، مدخل إلى فلسفة بنية الإيقاع في الشعر العربي، مجلة البيان ، 1990، العدد 29.

المواقع الإلكترونية:

1 – أحمد فضل شبلول " قراءة في قصيدة لا تصالح " أمل دنقل مقال نشر إسلام أون الاين

2 – خضر محجر لا تصالح القصيدة والتحليل مقال نشر علي الحوار المتمدن موبايل

3 – الرمزية في الشعر الحر "قراءة في قصيدة لا تصالح أنموذجا" مقال نشر علي موقع وجهة نظر

فهرس الموضوعات

المقدمة..... أ-ب

المدخل

ماهية المصطلح 1-5

الفرق بين التمرد و الرفض 5-8

شعرية الرفض..... 8-16

الفصل الأول : عوامل قيام فعل الرفض في شعر أمل دنقل

1-السيرة الذاتية للشاعر.....18-20

2-عوامل الرفض لدى الشاعر 20-30

الفصل الثاني: قراءة في قصيدة لا تصالح

1-قراءة في أبيات القصيدة 32-43

2-اللغة الشعرية 43-59

3-الصورة الرافضة في القصيدة.....59-67

4-إيقاع القصيدة 68-87

خاتمة 88-90

قائمة المصادر و المراجع 91-95

فهرس الموضوعات 96

الملخص

ملخص

لقد عايش أمل أحلام عروبته ، و ألم بجراحها و تفاعل مع قضاياها و ظل هذا الإحساس بالانتماء لهذه الأمة هو الرابط الأبدي الذي يجعل من شعره سجلاّ حيا لمواقفه الخالدة حتى بعد الموت، و جاءت هذه الدراسة لتقف على ظاهرة الرفض التي مثلها الشاعر أمل دنقل في مضمون الشعر العربي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: [الرفض ، الثورة ، الشعر العربي المعاصر، أمل دنقل].

Résumé

Le poète Amal Dungel est l'un des poètes arabes contemporains les plus éminents qui avait sa présence distinguée dans le domaine artistique arabe dans le domaine de la créativité poétique visant à corriger le chemin de la nation en essayant de changer la politique et de réforme sociale par la parole libre.
Ses enjeux et ce sentiment d'appartenance à cette nation sont restés le lien éternel qui fait de sa poésie un témoignage vivant de ses positions immortelles même après sa mort, et cette étude est venue se poser sur le phénomène de rejet représenté par le poète Amal Dungel dans le contenu de la poésie arabe contemporaine.
Mots clés: [rejet, révolution, poésie arabe contemporaine, Amal Dungel].

Abstaract :

The poet Amal Dungel is one of the most prominent contemporary Arab poets who had his distinguished presence in the Arab artistic field in of poetic creativity aimed at correcting the path of the nation through trying to political change and social reform through the free word its issues and this of belonging to this nation remained the eternal link that makes his poetry a living record of his immortal positions even after death, and this study came to stand on the phenomenon of rejection represented by the poet Amal Dungel in the content of contemporary Arabic poetry.
Key words: [rejection, revolution, contemporary, Arab poetry, Amal Dungel].

شكلت موضوعات الرفض مرتكزا مهما في مسيرة الشعر خاصة ما تعلق منها بمشكلات الحياة وهمومها ودفع بالشاعر لاتخاذه كأداة تعبيرية ليوائم بين رؤيته الفكرية والفنية وبين مجريات واقعه الحاضر.

تطرقت إلي تعريف الرفض وإلي المعاني المختلفة التي عرّف بها ومن أهمها الترك ،التفرق والتكسر، والمعنى الشائع هو البديل ، بمعنى أن الرافض ملزم باتباع نهج آخر يتبناه و يدعوا إليه ،وقد توسع هذا المفهوم ليأخذ معان أبعد من الناحية الاصطلاحية فكل فسّره حسب توجهه وفكره وتصوره لواقع الحياة ، فالفلسفيون قد أعطوه معنى مواجهة الانقياد ،أي أن الرافض يحسن قول (لا) متى رأى الموقف يتطلب ذلك انطلاقا من قناعاته الدينية أو الفكرية أو الفلسفية بعيدا كل البعد عن الاعتباطية و العشوائية ولغاية أسمى من أية دوافع غريزية ،فالرفض يشير إلي استخدام السلب أي النطق بلفظة (لا) فيما يتعلق بموضوع ما ،غير أن هذه (لا) لا تظهر من تلقاء نفسها علي أنها أداة التضاد و التمايز إلا بناء علي معطى يكون أساسا قابلا للنفي ،ليؤيد هذا التوجه الماديون الذين ربطوه بدور الوعي (العقل) أي استحضار العقل في عملية الرفض كمحاولة لتغيير الواقع في مجتمع يشعر الفرد فيه بالضياع .

أما في علم النفس فقد نظروا له علي أنه حالة شعورية واعية تقود الإنسان إلي مجابهة الواقع أو الكون بأسره إذا اقتضى الأمر و قد يواجهونها بما يمكن أن يعوض.

ثم ربطت الرفض بالتمرد نظرا لتقارب مدلولهما اللغوي غير أنهما يختلفان من الوجهة الاصطلاحية و الفلسفية ،فالتمرد هو" الرفض الكامل للوضع الإنساني" ،بمعنى أنه عبارة عن احتجاج غامض لا ينطوي علي أية نظام أو مذهب ،وأكثر ما يميزه خاصة في الفكر الأوربي أنه يصبح بمرور الوقت تمردا ملحدا يخضع الله لمعايير الحكم الإنساني ،و يبدأ في معالجته علي أساس من الندية ويرفض التسليم بأنه القوي الأوحد ، فالأول فعال ويسعي إلي التغيير من خلال تبنيه لأفكار يواجه بها الواقع الاجتماعي و السياسي و الفكري أما الثاني فقد يكون أداة للهدم و الفوضى.

أما الرفض فهو عبارة عن مجموعة من الأفكار التي يتبناها الرافض في مواجهة واقعه انطلاقا من إيمانه بأن ما يقدمه يمكن أن يقوم مقام ما ينبغي استبداله .

ولعل أهم ما يميز الرفض عن التمرد هو قدرته علي تجاوز حدود الفردية و الذاتية بعيدا كل البعد عن صفته الأنانية في أن يحمل صفة الشعور الجماعي ، كما تختلف طبيعة كل من الرفض والتمرد ذلك أن الأول يقوم علي فلسفة خاصة مبنية علي قواعد يتبناها الرافض كقناعات فكرية تنشد البديل في صراعه مع الواقع ،أما التمرد فهو في أغلب أحواله عبارة عن خلل نفسي أو شك عقائدي أو نظرة تشاؤمية تجاه الواقع أو قد يكون ضرورة لتغيير واقع هش سئم أصحابه مما يدور حولهم.

ثم عرجت إلي استقصاء هذه الظاهرة الفنية والوقوف علي مظاهرها نتيجة لما اكتنفه كل عصر من العصور من مشاكل و تناقضات مست جميع الميادين والمجالات ، فعمل الشعراء جاهدين فعلا وقولا علي تغيير هذه السلبيات ، ولذلك لا عجب أن يكون اقتران الشعر بالرفض ميزة انفرد بها الشعر أكثر من سواه من الفنون الأدبية الأخرى .

وقد امتزج شعر الرفض بالغضب وكان دافعا له ولعل أهم النصوص التي مثلت هذا التوجه في الشعر الجاهلي هو أدب الشطار و العياريين الذين اتخذوا من اللّصوصية وسيلة من وسائل التمرد الرافض لهذا الواقع ،وإلي جانب هذه الفئة نجد طائفة أخرى من الخلعاء و الأغربة و العبيد الذين ساء سلوكهم فخلعتهم قبائلهم و قد عرفوا "بالصعاليك" ، وقد صدرت ثورتهم علي نظام القبيلة التي حرمتهم من العدالة الاجتماعية التي يطمح إليها كل فرد في مجتمعه ،وقد انعكس ذلك بشكل جلي في معظم شعرهم.

لنحتكم إلي صدر الإسلام الذي شهد ظهور حركة الرفض في الشعر الذي انقسم إلي طرفين طرف يدافع عن الدين الجديد والثاني متعصب لكفره وجاهليته ، ثم عرجت علي بقية العصور لأسجل في العصر الأموي ميلاد حركة شعرية قد اتسمت بالرفض والثورة والانقياد لما كان سائدا آنذاك وذلك بسبب طبيعة هذا العصر وما كان يصوره من مواقف حزبية وعقائدية متنافرة لتجد هذه الظاهرة رواجا واسعا في أوساط المجتمع العباسي وذلك لكثرة الصراعات السياسية والاجتماعية خاصة ما تعلق بالحكم بين الشيعة و السنة والعلويين والعباسيين ، وقد قاد هذه الحركة الشعرية شعراء كثر أمثال بشار بن برد و دعبل الخزاعي وأبو الطيب المتنبي ،ولم يقف الرفض عند الجانب السياسي في هذا العصر وإنما تعداه ليشمل الجانب الاجتماعي فظهر الزهد كرد فعل مباشر رافض لكل مظاهر الانحراف و المجون التي سادت المجتمع العباسي .

ولم تجد هذه الظاهرة الفنية ضالتها إلا في العصر الحديث ، فكانت أولى بوادر هذا الرفض هو الثورة علي القالب الشعري القديم زاعمي أصحاب هذا الاتجاه أنه لا ينسجم مع روح العصر و لا يلبي احتياجاتهم الفكرية ، وهكذا تولد شعر التفعيلة كحركة شعرية حررت الشكل القديم وانتقل هذا الرفض من النظام التقليدي القديم للقصيدة العربية إلي ثورة لكل أنواع الظلم والطغيان التي تهدد أشكال الإنسانية.

وقد مثلت هذه الظاهرة الفنية شعراء كثر أمثال نزار قباني ،عبد الوهاب البياتي ،محمد أحمد العزب ، عز الدين المناصرة،والشاعر أمل دنقل أحد أبرز شعراء العصر الحديث الذي أدى دورا بطوليا في تمثيل الضمير القومي مما جعله يلقب بأمير شعراء الرفض ، وقد اتخذ أمل من شعره وسيلة من وسائل الكشف عن هموم الحياة و محاولة تغيير هذا الواقع.

وبعد هذا العرض الوجيز لمفهوم الرفض لغة واصطلاحا والكشف عن أهم السمات التي تميز كل من مصطلحي الرفض والتمرد واقتران هذه الظاهرة الفنية بالشعر عبر مختلف الحقب الزمنية ، تدرجت

في البحث لأقدم ترجمة لسيرة الذاتية للشاعر حيث وقفت علي أهم المحطات التي ميزت تجربته الشعرية.

كانت انطلاقة هذا الشاعر في ميدان الممارسة الشعرية في سن مبكرة ، فقد كان أمل يكتب القصائد الطوال ويلقيها في الاحتفالات المدرسية والمناسبات الدينية والاجتماعية ،وقد كانت مكتبة والده بما احتوته من كتب أول مصادر ثقافته وقد ساعده ذلك علي القيام ببعض النشاطات مثل إلقاء الخطب الدينية وإمامة المصلين ، سافر أمل إلي القاهرة ليكمل دراسته الأكاديمية لكنه فشل فيها فاتجه إلي العمل في مصلحة الجمارك في وظيفة مساعد مأمور و نشر أول قصائده في جريدة الأهرام وفاز في تلك السنة بجائزة المجلس الأعلى للآداب والفنون لأقل من ثلاثين عاما وصار من شعراء الإسكندرية المعروفين ،انتقل أمل إلي فرع مصلحة السويس ولكنه كان دائما ما ينصرف لكتابة الأشعار.

عايش أمل معاناة مجتمعه وعاصر أحلام عروبته ولمس جراحها وقد عبر عن صدمته بنكبة 1967 عبر ديوانه الأول "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" ، كما شاهد بعينيه ضياع النصر وعبر عن كل ما جال في خاطر كل المصريين والعرب من معاهدة السلام فأطلق رائعته "لا تصالح" محذرا الأمة العربية من خيوط مؤامرة تحاك ضدها ، وفي سنة 1978 تزوج أمل من الصحفية عبلة الرويني وبعد عدة أشهر من زواجه اكتشف إصابته بمرض السرطان ليدخل إلي المعهد القومي للأورام الذي كتب فيه ديوانه الأخير"أوراق الغرفة 8" .

استمر أمل في صراعه مع المرض إلي أن وافته المنية في الحادي والعشرين من ماي سنة 1983 تاركا خلفه سجلا شعريا متميزا يحفل بمشاهد الرفض في صدقها ونضالها وكفاحها حتى بعد الموت.

ولأن طبيعة الشعر عنده قد اتخذت من هذه الظاهرة الفنية سمة بارزة في شعره نتيجة عدة عوامل سياسية واجتماعية وفكرية قد أحاطت به من كل حدب وصوب فدفعته جملة من العوامل للرفض أهمها حالة التشتت التي كان يعاني منها الوطن العربي خاصة بعد نكسة 1967 وما نتج عنها من أضرار وخيمة انعكست سلبا علي مجتمعنا العربي خاصة مع التزامن مع حالة فقد الحريات لدى الشعب الذي لا يملك لا حولا ولا قوة له أمام طغيان السلطات وفرض قوانين الحجرعلي الأفكار والرؤى الهادفة مما جعل مجمل شعره رافض لكل هذه الظواهر السلبية .

ولأقف علي أهم سمات قصيدة الرفض التي ميزت شعره عرجت إلي الجانب التطبيقي لأقدم قراءة في قصيدة "لا تصالح" كأنموذج" حيث افتتحتها بدراسة تحليلية لأبيات القصيدة ، فتحدث عن معاهدة السلام التي دعا إليها الرئيس أنور السادات و التي أصبحت بمقتضاها مصر دولة صديقة لإسرائيل ، فقد أعلن الشاعر رفضه لهذا الصلح خاصة وأن الأمة العربية لم تكن قد خرجت بعد من أحزان نكسة 1967

،إذ يستنكر الشاعر أن تتحول دماء أبناء أمته التي لم تجف بعد إلي ماء يهدر دون قيمة لذا يستفتح قصيدته بوصايا كليب لأخيه الذي ينهاه عن الصلح مع قتلته ،فالقصيدة من بدايتها إلي نهايتها تعكس دعوة صريحة

من الشاعر إلي رفض كل مشاريع بيع الأمة ويؤكد أنه لا سبيل لإعادة كرامة العرب التي فقدت إلا عن طريق مواصلة الحرب لاستخلاص الحق وصيانة العرض ومحو عار هزيمة 1967 .

وتعتمد لغة الشعر الرافض عند أمل بخصائص مميزة تجمع بين عنصري الحداثة و التراث وذلك من أجل التعبير عن متطلبات العصر ومشاكله وهمومه لذا ذهبت إلي دراسة لغة القصيدة التي تميزت بالغضب والثورة و الرفض لكل أشكال المساومة مع العدو، وقد لجأ الشاعر إلي الرمز خاصة فيما يتعلق بعنوان القصيدة ومضمونها وذلك باستحضار حادثة اغتيال الملك كليب وائل و جعله رمزا لدماء أبناء الأمة التي تطالب بأخذ القصاص من قتلتها و جاءت رمزية هذه القصة متناسبة مع ما شهدته مصر والأمة العربية من موجة الأحداث السياسية في تلك الفترة .

وقد أحسن الشاعر اختيار عنوان قصيدته ليكون كنقطة ارتكاز تدفع بالمتلقي إلي الغوص في أعماق النص وتذوق معانيه ، و يزيد الشاعر من إثراء لغته الشعرية وذلك عن طريق استخدام مجموعة من الأدوات اللغوية كالمفارقة والتكرار و التناص التي تزيد من إبراز موقفه الرافض.

ولعل الصورة الشعرية كانت أكثر أداة فعالة قد استطاع أمل أن يترجم من خلالها إحساسه الرافض خاصة مع الحصار الذي تفرضه السلطة علي المثقفين في تلك الفترة ليجد فيها المتنفس لتعبير عن خلجات نفسه ،لنتجه إلي دراسة الصورة الرافضة في القصيدة والتي جاءت ذات طبيعة مميزة والتي أصبحت مغشاة بمسحة انفعالية شديدة التعقيد نتيجة لامتزاج الواقع بالخيال فالمتتبع لإنتاجه الشعري يلاحظ أن الصورة عنده مصدرها اللاشعور ، وقد مزج الشاعر بين كل العوامل المحيطة به من الذات إلي الخيال مرورا بالواقع المر الذي تعيشه الأمة العربية فاتخذ من هذه العوامل دافعا حثه لإعلاء صوته الرافض والثورة علي هذا الواقع.

ولم تقتصر شعرية الرفض عند أمل علي الجانب الفني والجمالي فقط بل تعداه إلي الجانب الموسيقي ولذا اتجهت هذه الدراسة لتقف عند الجانب الإيقاعي في القصيدة ،والملاحظ أن الشاعر قد استطاع خلق إيقاع رافض يتناسب مع تجربته الشعورية النابعة من إحساس عميق بضرورة رفض كل مشاريع بيع الأمة والتي حارب من أجلها بإيقاعات تتناسب مع وتيرة هذا العصر فيختار الشاعر مفردات قاموسه الرافض الذي يتماشى مع الواقع الذي نعيشه ونحياه.